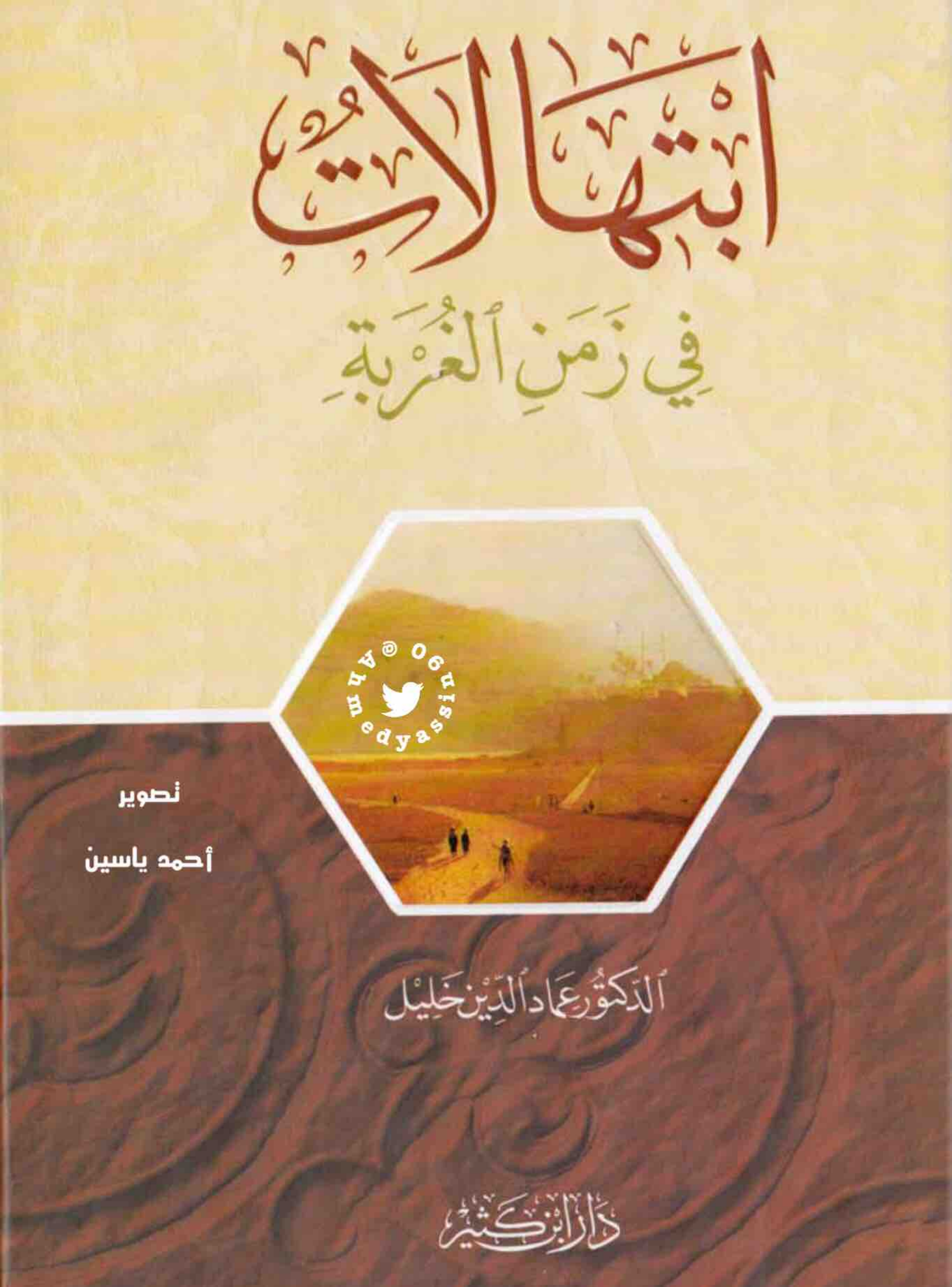


ابتهالات
في زمن الغربة
تصوير
أحمد ياسين
@Ahmedyassin09
الدكتور عماد الدين خليل
دار ابن كثير



ابتهالات
في زمن الغربة

الطبعة
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ابتهالات

في زمن الغربة

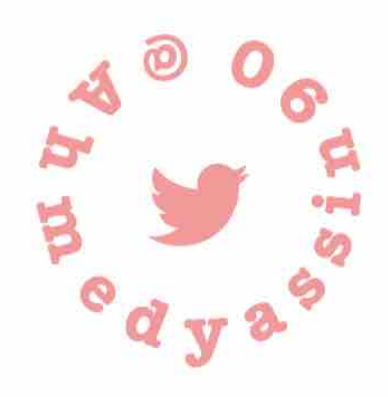


الدكتور

عماد الدين خليل



بسم الله الرحمن الرحيم


@Ahmedyassin90



تقديم

١

لم أكن مقتنعاً بالمستوى الفني لـ (جداول الحب واليقين). . قصائد قادمة من الستينيّات. . بعضها من عمق زمني أكثر بعداً. . كنت يومها مبتدئاً، وكان طموحي أكبر بكثير من قدراتي. . والخندق ظل قائماً، غير معقود فوقه بجسر. .

أحياناً كنت أعبر. . حالات استثنائية ـ كانت ـ لايقاس عليها. . بينما ـ في معظم الأحيان ـ كانت الهوة العميقة تضيع صوتي. . فأشعر بحزن عميق. .

هذه واحدة من أقدار الأدباء والمفكرين. . وهم يظلون ـ حتى آخر لحظة من أعمارهم المنصرمة ـ غير قادرين على التحقق بالوفاق المرتجى بين القدرة والطموح. . على أن يجعلوا الحلم حقيقة واقعة. .

توفيق الحكيم ـ الذي قال هذا أكثر من مرة ـ لم يكن أولهم ولا آخرهم. . يقيناً. .

يوماً. . قال لي صديق أديب: إن عليَّ أن أكف عن قول الشعر، وأن أنصرف ـ إذا أردت أن أكون أكثر جدية ـ للكتابة في الفكر والمنهج والنقد والتاريخ. . كان يمكن أن تكون نصيحته فرصة للخروج من دائرة العذاب، وأنا لازلت أذكر ساعات الاحتراق الصعبة التي كنت أجتازها عندما كنت أكتب هذه القصيدة أو تلك. . بينما في المجالات الأخرى لم أكن أعاني عشر معشار هذا الذي كنت أعانيه في دائرة الشعر. . لكنه الهاجس الذي يضغط على الجملة العصبية للإنسان، ويرغمه إرغاماً على محاولة الدخول إلى المملكة التي لا تفتح أبوابها ـ بيسر ـ للطارقين.

نصيحة صديقي الأديب كان يمكن ـ أيضاً ـ أن تكون تحدياً واستفزازاً. . وقد اخترت الثانية، وقررت أن أحاول كرة أخرى. . غير متكلف قول الشعر هذه المرة. . فلم أكن أنا الذي أستدعيه، ولكنني أتركه لكي يستدعيني. . وحينذاك يمكن أن يصير الإبداع الشعري دفقاً عذباً، أو عذاباً متدفقاً لا يتعسر فيه المخاض، وتتولد في معاناته الأبيات أكثر يسراً، وأقدر على حمل الخطاب والتحقق بمطالبه الفنية. .

استهوتني الحالة الجديدة هذه، وهي بالتأكيد أكثر انسجاماً وتوافقاً مع طبيعة العمل الشعري، فكنت أنتظر السنة والسنتين لأكتب قصيدة أو اثنتين. .

لكنني في شتاء عام ١٩٩١م وجدت النداء يزداد إلحاحاً، وخفقان الشعر ينبض بعنف في القلب والدم والوجدان.. فاستجبت للنداء، متذكراً صديقي ذاك.. وكتبت العديد من القصائد.. واستطعت ـ أيضاً ـ أن أنفذ ما كنت أحلم به: الرباعيات التي تتدفق بعفوية لكي تجعل الشعر قبالة كل شيء مؤثر أو جميل في هذا الوجود.. حالة من التوافق الكوني العذب الذي أراد هذا الدين أن يضع الإنسان فيه..

معظم القصائد الأخرى كانت إبحاراً في الاتجاه نفسه.. تداعيات روحية، وخطاب وجداني للمؤمن المتغرب في هذا العالم، والذي يكافح من أجل الخلاص.. مؤملاً اليوم الذي يتناظر فيه كل شيء ويلتقي تحت خيمة المحبة في الله.. حيث يصير كل موجود في هذا العالم متوجهاً إليه متفيئاً ظله الظليل..

قصائد قليلة تعاملت مع هذه المفردة أو تلك، من مفردات الحدث العام أو الخبرة الذاتية، لكنها هي الأخرى آلت في نهاية الأمر إلى الساحة نفسها التي أريد للديوان كله أن يتشكل بكلماتها..

ليس ثمة في المنظور الإسلامي للإبداع تجزؤ أو انفصال.. هنا حيث تزول الفواصل وتنهار الجدران، وتصير كل خبرة أو تجربة رافداً يصب في النهر الواحد الآيل إلى الله!

ربما تكون هذه واحدة من أكثر الملامح أصالة في الشعر الإسلامي.. فإذا كان ديواني المتواضع هذا قد عبر عنها بقدراته المحدودة، ونفذ قدراً من المقاربة لمطالبها، فإنه يكون قد حقق مهمته التي تشكل من أجلها.. وهذا حسبي..

٢

كثيرون من أصدقائي المعنيين بالكتابة لا يرتاحون للمفكر أو المؤرخ أو الناقد وهو يكتب شعراً.. يرون في ذلك نوعاً من الامتهان لجدية الفكر.. أو في أحسن الأحوال عبثاً، أو تضييعاً للوقت لا يليق بالمفكر الجاد أن ينساق إليه.

ينسون أن الشعر ليس خياراً، ولكنه قدر محتوم في عنق هذا الإنسان أو ذاك..

وإن لم يستجب لندائه فسيظل يعاني في داخله من النار التي تشتعل هناك ولا تجد فرصتها للخروج.. يومها لن يكون بمقدور أشد المفكرين جدية أن يتحقق بالسوية التي تعينه على أن يقول ما عنده في أي ساحة من ساحات الكلمة.. لأنه هناك، في طبقة ما من تكوينه، لا تزال تشتعل النار..

ينسون أن الكثيرين من المفكرين والمؤرخين والنقاد كتبوا شعراً.. يوم كانت الكلمة تتحرك بحرية في أفق معرفي وإبداعي مفتوح على مداه.. وقبل أن تجيء تقاليد التخصص الدقيق، وافتراضات الأكاديمية فتضيق الخناق..

وبغض النظر عن الرؤية أو التوجه الفكري، فإن معظم الرواد الكبار قالوا شعراً: العقاد.. طه حسين.. توفيق الحكيم.. سيد قطب.. الرافعي.. مصطفى السباعي.. وغيرهم كثيرون..

آخرون كان صوت الشعر ينبض في كلماتهم، رغم أنهم ما مارسوه وفق مطالبه الفنية المتعارف عليها: النورسي.. الندوي.. الغزالي.. مالك بن نبي.. وغيرهم ـ أيضاً ـ كثيرون.. ولكنهم ـ مع الشعر وقبله وبعده ـ كانوا مفكرين ومؤرخين ونقاداً..

وفضلاً عن هذا كله، فإن هؤلاء «المحتجين» ينسون أن الخطاب الشعري، في حالات عديدة، أكثر قدرة من أي صيغة أخرى على حمل «الرؤية» إلى العالم، والتعبير عنها، والتبشير بها، بل إنه ـ أحياناً ـ قد يكون الخطاب الوحيد.

ونتذكر كيف أن الرسول المعلم ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ طالما وظف الشعر في الصراع ضد الخصوم، وكيف أنه أعرب عن إعجابه وتأثره بهذه القصيدة أو تلك، بل إنه خلع ـ يوماً ـ بردته الشريفة وأعطاها الشاعر كعب بن زهير تثميناً للاميته المعروفة التي تبدأ بالتوجع لفراق سعاد.. أولم يقل ﷺ قولته المعروفة: «إن من البيان لسحراً، ومن الشعر لحكمة»؟.. فكيف يصير الشعر الذي ينبجس كالدفق العذب في ساحات الفكر، أو يشتعل كألق النار في عالم البحث الرصين، عبثاً وترفاً وتضييعاً للوقت؟

٣

الآن، وقطار العمر يمضي مسرعاً صوب المحطات الأخيرة، فإن الفاصل يكاد يتلاشى تماماً بين الأشياء والخبرات والظواهر والموجودات.. وبين جوهرها ومغزاها..

ما من لحظات كهذه تتكشف فيها المرئيات، وتتعرى التجربة، كهذه اللحظات.. وكلنا يتذكر، والقطار يمضي به متسارعاً إلى هدفه، كيف تفقد رؤيته القدرة على التركيز في الأبعاد المنظورة للمرئيات.. كيف تلتم هذه كلها وتفقد، شيئاً فشيئاً، خصائصها الذاتية لكي ما تلبث أن تصير هي نفسها جزءاً من المنظور الشامل الذي يعبر فيه الإنسان حافات الحس إلى الوجدان، والبصر إلى البصيرة، والتعامل المباشر مع الأشياء إلى الإيغال بعيداً، بحثاً عن الوحدة التي تلمها جميعاً لكي تجعل منها منظوراً واحداً..

هنا يصير الشعر الأداة الوحيدة القادرة على التعامل مع الظاهرة، تماماً كما يصير الإيمان، الكشف الوحيد القادر على الإضاءة والتفسير..

وفي الحالين يجد الإنسان نفسه قبالة اللحظة المشحونة بالوعد والعطاء.. وإزاء الدافع الملح، المترع باللهفة والشوق، للإفصاح والتعبير..

فمن يقدر، وهو يطل من نافذة قطار يرحل بعيداً، عبر، وقبالة المغزى الكوني للوجود البشري في هذا العالم، إلا يكتب شعراً.. من؟

عماد الدين خليل

الموصل

في: ١٤١٧/١٢/٨هـ /١٩٩٧/٤/١٥م

ابتهالات في زمن الغربة

سكرت بلا خمرة أو شرابِ
فحررت من شقوتي واضطرابي
رجعت إلى الله أهتز شوقاً
ويدفعني في الرجوع عذابي
تقاذفني الوجد في كل أفق
وأومض في الدرب ضوء شهابِ
وضاع الزمان فلا من سنين
وأمسى المكان ولا من حجابِ
ومد الفضاء وبان الطريق
وأشرع في الملتقى كل بابِ

❊ ❊ ❊

بغيرك نعبرها ظلمات
ونجتاز آفاقها.. بارتيابِ
بغيرك تغدو الحياة ضياعاً
وسجناً من الهم والاكتئابِ

بـغـيـرك يـغـدو الـوجـود قـفـاراً
وركـضـاً عـلـى الـشـوك مـحـض سـرابِ
بـغـيـرك تـغـتـال أحـلامـنـا
ويـجـتـاحـنـا عـاصـف مـن تـرابِ
بـغـيـرك يـمـسـي الـطـريـق طـويـلاً
ويـعـظـم فـي الـدرب كـل مـصـابِ

❁ ❁ ❁

أعـود إلـيـك طـريـقـي طـويـل
وقـد بـلـيـت فـي الـرحـيـل ثـيـابـي
أعـود إلـيـك وحـزنـي عـمـيـق
وقـد ضـاع عـبـر الـمـسـيـر شـبـابـي
أعـود وفـي جـمـرات الـضـلـوع
كـتـاب مـن الـشـوق أي كـتـابِ!
أعـود وقـد أشـعـلـت فـي الـحـنـايـا
تـبـاريـح مـن ألـم مـسـتـطـابِ
أعـود فـهـل أرتـجـيـه إيـابـاً؟
وهـل يـتـقـبـل مـنـي احـتـسـابـي؟

❁ ❁ ❁

تـبـاركـت يـا مـلـهـم الـكـائـنـات
طـريـقـاً إلـى الـخـيـر إثـر غـيـابِ

تبـاركـت إذ نـقـتـفـيـه صـراطـاً
وإذ نـسـلـك الـدرب بـعـد ذهـابِ
تبـاركـت حـيـث يـضـع الـمـصـيـر
فـتـشـعـل أضـواءه لإيـابِ
تبـاركـت مـا كـدح الـمـرسـلـون
ومـا شـربـوا كـل مـر وصـابِ
تبـاركـت إذ فـجـروه عـطـاء
وإذ قـدمـوه بـغـيـر حـسـابِ!

۞ ۞ ۞

لـك الـحـمـد فـي كـل طـلـعـة فـجـر
وفـي الـلـيـل إذ يـرتـجـى لـمـآبِ
لـك الـحـمـد فـي كـل رفـة غـصـن
وفـي الـريـح إذ حـمـلـت بـسـحـابِ
لـك الـحـمـد مـا أدلـج الـمـبـحـرون
ومـا انـسـربـت سـفـن فـي عـبـابِ
لـك الـحـمـد مـا اخـضـر هـذا الـوجـود
ومـا ازدهـت الأرض بـعـد يـبـابِ
لـك الـحـمـد في الـبـدء والـمـنـتـهـى
عـلـي هـيِّـن فـي الـسـرى أو صـعـابِ

۞ ۞ ۞

تـــقـــدّســـت يـــا أوحـــداً فـــي عـــلاه
ويـا مـالـك الـمـلـك يـوم الـحـسـابِ
تـقـدسـت فـي خـفـقـان الـقـلـوب
امـتـنـانـاً وفـي لـفـتـات الـرقـابِ
تـقـدسـت والـوجـد يـجـتـاحـنـا
فـيـمـنـحـنـا مـن رحـيـق مـذابِ
تـقـدّسـت إذ نـبـتـغـيـه ثـوابـاً
فـتـعـطـي مـحـبّـيـك كـل ثـوابِ
تـقـدسـت إذ نـتـقـيـه عـقـابـاً
فـيـمـضـي الـحـسـاب ولا مـن عـقـابِ

❀ ❀ ❀

يـسـبّـح بـاسـمـك هـذا الـوجـود
فـتـبـحـر أجـرامـه بـانـسـيـابِ
تـسـبـح بـاسـمـك ذراتـه
فـيـهـتـز دفـق الـعـيـون الـعـذابِ
تـسـبـح والـلـيـل سـاج عـمـيـق
وفـي الـصـبـح عـنـد احـتـدام الـرغـابِ
تـسـبـح فـي الـنـهـر فـي الـمـنـحـنـى
تـسـبـح فـي الـقـفـر فـي كـل غـابِ

تسبح في الدرب لما يضيق

وفي الأفق عند انفساح الرحابِ

❀ ❀ ❀

أجيء وقد ضيقت خطوات

وسدّ طريق الهدى لمتابِ

أجيء وقد أظلم المشرقان

وحط على الأفق دفق ضبابِ

أجيء وقد هدّني الزمهرير

وأرهقني في المسار اغترابي

أجيء فألقاك في كل حين

وأمحو بعفوك كل عتابِ

أجيء فيزهر فيك الوجود

وتزهو العوالم بعد خرابِ

النار

١

النارْ!

النار.. النار.. النار.. النارْ

وعد ينصب على عيني فتشب النارْ

قدمي في البحر وفي الآفاق يضيء فنارْ

ما بين اللحظة والأخرى سيجيء قرارْ

عمري يمضي.. والوعد نهارْ

لكن الليل يلازمني ويدور حصارْ

ويشدّ القيد على قدمي ويعز فرارْ

الأفق أمامي ممتد فحذار حذارْ

ويضيع الأصحاب على دربي.. ويعز الجارْ

٢

النارْ

النار.. النار.. النار.. النارْ

شوق ينصب على قلبي فتشب النارْ

وأود لو أني ما فنيت أيامي

ما ضاع الدارْ

ما شيبني في البحث عن المجهول دوارْ

وأود لو أني ما زلت صغيراً بين صغارْ

وصفاء الرؤية يمنحني

عشقاً للدنيا . . يهديني حفنات محارْ

وودت لو أني ما زلت أغارْ

ولو أني ما اجتزت البحر . . عبرت قفارْ

ما ضيعني عبر التجوال المر غبارْ

حلم الأيام يراودني فتشب النارْ

تمحو من أيامي الذكرى

فأصير نثارْ . .

٣

النارْ!

النار . . النار . . النار . . النارْ

وجد يتدفق في روحي فتشب النارْ

أجتاز بها أطراف الكون.. أخوض بحارْ
أمشي حراً وعلى رأسي إكليل الغارْ
حبي إيماني.. والشوق دثارْ
أمضي لا يوقفني وهم أو يغريني شعارْ
أتجرد للعشق الكوني.. أصير منارْ
أمضي.. وحيال تخوم الأرض أشق مسارْ
وتناديني عند الأفق نجوم فيكون حوارْ
أمضي بحساب الزمن الضوئيّ لكل مدارْ
أتلاشى في الطرف الشرقيّ الأقصى
لكني أرجع ثانية فتشب النارْ

٤

النارْ!
النار.. النار.. النار.. النارْ
شيء ينصب على جسدي فتشب النارْ
أمضي لكن يمنعني في الدرب جدارْ
وأحس بأني لم أعط خيارْ
وبأني لا أملك ما يدفعني لعبور النارْ

وأظل أنادي من ينقذني.. فيزيد عثارْ

وجع الإحساس يهيج قليلاً

فيصير سعارْ

يسعى عبر الدورات الصغرى والكبرى فتشب النارْ

فأهبّ إليها كي أطفئها لكني أحارْ

صوت من قعر الإحساس يناديني ألا أحتارْ

أن أمضي.. أمضي.. أمضي.. أقطفها ثمارْ

لكن القلب.. الوجد.. الروح.. تعاتبني

ويضج أوارْ

وأنا مشدود للأصوات أعاني النارْ!

٥

النارْ!

النار.. النار.. النار.. النارْ

ضوء يتكهرب في عقلي فتشب النارْ

إيمان من نوع عالٍ

إيمان من فوق الأرض ينث شرارْ

إيمان يركض خلف الخوف.. وراء الآلام القصوى

يجتاز الأسوارْ . .

إيمان يرفع سيف الحق بوجه جموع القهر الآتي كالإعصارْ

إيمان يجمع أشتاتي ويصون ذمارْ

إيمان يمنحني الأمن الذاتي وينقذني من كل دمارْ

عقلي، روحي، جسدي، إحساسي

تجتاز الأسر تعاف الغربة والأوضارْ

تمضي كي تعمر هذي الدنيا . . تلقيها بذارْ

كي تمنح موزاً . . تفاحاً . . كمثرى . .

تهب الأشجارْ

وعلى برد الوعد الآتي بالأمطارْ

أحس سلاماً علوياً . . ويقر قرارْ

وتنث على النار الأمطارْ

فتكف النارْ!

مشاهد من سفر الرؤيا

١

رأيت فيما يلحظ النائم في الأسحارْ
عاصفة تهب من مكامن الضلالْ
عنيفة كموجة عاتية بحريهْ
مخيفة كنقمة كونيهْ
تجتاز ألف سنة ضوئيهْ
وقبل أن تمطرنا بالنار والأحجارْ
وقبل أن تصفعنا بالويل والثبور والدمارْ
لن يهدأ التدويم والترحالْ
أو نبلغ القرارْ. .

٢

رأيت فيما يلحظ النائم في الأسحارْ
دوامة تهب كالإعصارْ

مترعة بالنارْ

أتت على الديارْ

فطوحت بالزهر والثمرْ

وأصبحت عيوننا من كثرة الغبارْ

كأنها قد نسيت إطباقة الأجفانْ

اعتادت السهرْ

وغاب في منظورها البؤبؤ والإنسانْ

٣

وقمت كي ألاحق الظلام والمجهولْ

أمسك بالقمرْ

وبدأت ملحمة الصعود والنزولْ

اجتزت ألف غيمةٍ

قطعتها ألفاً من الأميالْ

سألت ألف نجمةٍ

ألحفت في السؤالْ

وعندما وجدته.. لم يكن القمرْ

٤

فإننا والحق لا يقالْ!
نطلبها محالْ
وإننا ، والحق لا يقالْ
نعيشها مجنونةً
كالحلم، كاللاوعي، حيث تختفي معالم الأشياءْ
ويفقد العالم أرضيته،
تصير كل كتلة مصنوعة من ماءْ
فإننا ، والحق لا يقالْ،
نعيشها معجونةً
بالرمز والتجريد السريالْ
مبنية بالرمل في مجاهل الصحراءْ
نريدها فوضى تلف الكون والوجود والأحياءْ
نريدها أرضية بلا سماءْ،
وعبثاً تضيع في لجّته ملامح الأفعال والأشكال والأسماءْ!

٥

من يدّعي القدرة للصعودْ؟
من يستطع أن يواكب السحاب كي يمنحنا المطرْ؟

يجيء بالقمرْ؟

أقدامنا قد غرزت في لجة الرمالْ

ضيعنا الدوار في مجاهل الصحراء كاليهودْ

تاهت على أبصارنا سيناءْ

وقتل السراب دفقة الرجاءْ

فلم يعد ثمة من آمالْ

وغابت الحدود.. غابت الحدودْ..

٦

وكان دين الله قد حررنا

لكننا ـ مثلهمُ ـ قامت على صراطنا السدودْ

مثلهمُ وضعنا في أعناقنا القيودْ

فلا مضينا صوب أرض التين والزيتونْ

ولا استطعنا عودة للوطن المغتصب الحزينْ..

٧

وكان فضل الله قد أمطرنا

بالمنّ والسلوى

لكننا ـ مثلهمُ ـ تقنا إلى قثائها وفومها الملعونْ!

فكانت البلوى!

٨

وكان صوت الله قد ألهمنا

أن نفتح العالم نلوي أذرع الطاغوتْ

نحرر الإنسان حيث استعبد الإنسانْ

لكننا ـ مثلهمُ ـ سرنا على تردّد، لم نتبع طالوتْ

وكان ما قد كانْ!

٩

يا أيها الإنسانْ

والله لو أجل قد خط في الألواحْ

لم تدر ما الزمان، ما المكانْ

أو تعرف المساء والصباحْ

لكنها رحمته وسعت الأمداء والأزمانْ

فلج في العصيانْ

١٠

من أجل هذا دوّمتْ

الفتنة العمياءْ

من أجل هذا زلزلتْ

الأرض والسماءْ

من أجل هذا أصبحتْ

أمتنا كقرية مثقوبةٍ

مملوءةٍ بالماءْ

كقصعةٍ مفتوحةٍ

أفسدها الهواءْ

من أجل هذا وُجهتْ

دعوتنا ، ليأكل الأعداءْ

١١

طردنا الإسبان من جناتنا

وكان قد تبعثر الإسبانْ

هاجمنا الصليب في ديارنا

من بعد ما توارت الصلبانْ

شردنا اليهود في ساحاتنا

إذ كاد أن يطويهم النسيانْ!

أمسكنا الشيطان من لذاتنا

وراح يلهو بيننا الشيطانْ!

١٢

من أجل هذا قدمت جحافل المغول والتاتارْ

واحتزت الرؤوس حتى أرهق الجلادْ

من أجل هذا صُيرت دماؤنا أنهارْ

وذبح الخليفة القابع في بغدادْ

كانت لنا حضارة مترعة عطاءْ

كانت لنا أمجادْ!

فأحرقت كتبنا وذرت الأحرف في الهواءْ

وجعلوا بنياننا رمادْ!

١٣

يا أيها الإنسانْ

ضائعة خرائط الدنيا، وفان حلم التكديس في البنيانْ

شقية حضارة لم تدر أين الله في رحيلها الحيرانْ

تعيسة قيادة أسلمت المصير للشيطانْ

هل ثم غير اليأس، والضياع، والظلامْ؟

هل ثم غير التيه في أروقة الطاغوت والطغيانْ؟

هل ثم غير الخزي، والهوان، والآلامْ؟

١٤

يا أيها الإنسانْ

أريد منذ البدء أن تكونْ!

سُخرت الأرض، والأنهار، والبحارْ

أرسيت الجبال، نثت ضوءها النجوم والأقمارْ

سُيرت الجواري كالأعلامْ

فُجرت العيونْ

واخضرّت الآكامْ

من أجل ماذا أيها الإنسانْ؟!

١٥

رأيت فيما يلحظ النائم في الأسحارْ

أنا مشيناها على مشارف العتمة والزوالْ

أنا عبرناها وقد ناءت بنا الأوزارْ

أنا أردناها وقد قُصّر في الآجالْ

ضيقة طرائق العبورْ

مظلمة مسارب الممر بين الهوة والجبالْ

مقطوعة ـ على المدى ـ الجسورْ

وأننا، بدون ما عقيدة تكهرب العقول والوجدان والأوصالْ

بدون ما إضاءة من نورْ

بدون أن ينصب في صحرائنا الشلالْ

فإنه محالْ

أن نعبر الظلمة والأحزان وسط العالم المقهورْ

فإنه محالْ..

إذا غاب هديك

إذا غاب هديك أين نسيرُ؟
وكيف يكون السرى والمصيرُ؟
على كل مفترق ظلمة
وفي كل درب أذى وشرورُ
ومنا إذا ألم سامنا
وفينا إذا ما ازدهانا الغرورُ
تحيط بآفاقنا غمرات
ويمحو الضباب بها ما يدورُ
وتكذب في البدء والمنتهى
ويبقى العذاب وليس مجيرُ

❀ ❀ ❀

إذا غاب هديك حل الشقاء
وضاع مع الحسرات السرورُ
وتاه الطريق فما من صراط
ولكنها سبل تستديرُ

تعود بنا إثر كل رحيل
فما ثم في الظلمات عبورُ
نعانيها من وجع وعذاب
ويصفعنا عاصف وحرورُ
ونبقى نصارع مأساتنا
ويبقى الهوى خلّب وقصيرُ

۞ ۞ ۞

إذا غاب هديك أنّى اتجهنا
تناوشنا البرد والزمهريرُ
نجاوز صحراءها بارتياع
ويلفحنا حرها والسعيرُ
يلاحقنا الليل في كل خطو
فنقطعها غمرات تمورُ
نؤمل بعد الضياع وصولًا
ولكنها أمنيات تبورُ!
إذا غبت عن خفقان الفؤاد
يضل على الدرب وهو حسيرُ

۞ ۞ ۞

إذا غاب هديك يمسي الوجود
خراباً ويرحل عنه الحبورُ

وتفقد مغزاها أحلامنا
فتذوي وكل المعاني قشورُ
تصير إلى عبث خطوات
ونمضي سراعاً إلى ما تصيرُ
ويهوى على الدرب كل بناء
وتلحقه مدن وقصورُ
وتمضي الحياة وقد ضيقت
لتغتالها في الطريق قبورُ

۞ ۞ ۞

إذا غاب هديك كيف الرحيل
وكيف إلى الأمنيات نطيرُ؟
وهل نتفيأ برد الظلال
وهل يرتجى قمر فينيرُ؟
وهل تتفتّح عند الصباح
بأكمامها وتفوح زهورُ؟
وهل تبعث الشمس أضواءها
فيمتصها ألق وعبيرُ؟
وهل ترتقيها النسور سماءً
وترحل في الأمسيات الطيورُ؟

إذا غـاب هـديـك كـيـف الـخـلاص
ومـن لـلـهـدى يـرتـجـى فـيـثـورُ؟
يـنـام الـطـواغـيـت مـلء الـجـفـون
ويـسـهـر عـبـد لـهـم وأجـيـرُ
ويـغـدو الـهـوى شـرعـة لـلأنـام
فـيـركـب مـتـن الـهـوى ويـجـورُ
فـمـا ثـم مـن يـرتـجـى لـلـخـروج
ومـا ثـم لـلـمـؤمـنـيـن نـصـيـرُ
إذا اسـتـحـكـمـت فـي الـعـبـاد الـظـنـون
فـلـيـس سـوى هـديـه مـا يـجـيـرُ!

مناجـــاة

تـــجـــيء إذا انـــعـــدم الـــمـــوردُ
وتـعـطـي فـمـا أخـلـف الـمـوعـدُ
تـظـل إلـى جـانـب الـضـائـعـيـن
ونـار الـهـدى فـي الـدجـى تـوقـدُ
يـسـد الـطـواغـيـت أبـوابـهـم
وبـابـك يـبـقـى فـلا يـوصـدُ!
وتـمـطـر حـيـن يـحـق الـجـفـاف
وتـحـيـي الـموات لـكـي يـحـصـدوا
تـبـاركـت، جـل الـسـخـاء الـكـبـيـر
وجـل عـطـاءً فـمـا يـنـفـدُ!

❀ ❀ ❀

لـك الـحـمـد حـيـث يـدور الـزمـان
ومـا ثـم غـيـرك مـن يـحـمـدُ
مـنـحـت الـصـراط لـكـل الـحـيـارى
فـسـاروا عـلـى ضـوئـه واهـتـدوا

مـشـوا يـزرعـون صـحـارى الـوجـود
وشـيـدوا فـي الأرض مـا شـيـدوا
مـضـوا وكـأن اخـضـرار الـحـيـاة
نـداء مـن الله كـي يـعـبـدوا
وتـعـلـو الـمـعـالـم فـي كـل صـقـع
وتـعـنـو الـجـبـاه لـه تـسـجـدُ

❀ ❀ ❀

لـك الـحـمـد مـا ادلـج الـسـائـرون
ومـا قـارب الـنـاس أو سـددوا
ومـا انـبـجـسـت في الـصـحـاري الـعـيـون
ومـا خـفـقـت نـجـمـة تـسـهـدُ
ومـا أبـرق الأفـق فـي الـظـلـمـات
وراح عـلـى مـطـر يـرعـدُ!!
ومـا انـسـاب في الأمـسـيـات الـهـلال
وفـيـاً عـلـى الـعـهـد لا يـشـردُ
لـك الـحـمـد مـا شـيـع الـراحـلـون
ومـا صـرخ الـطـفـل إذ يـولـدُ

❀ ❀ ❀

تـسـبّـح فـي سـرهـا الـكـائـنـات
ويـنـطـقـهـا خـالـق أوحـدُ

ويسمع في ساح هذا الوجود
نداء الخلائق إذ تنشدُ
وكلّ يداري الجوى في المسار
فيزداد ناراً وما يبردُ
وتعلو مصعدة وجدها
وتعطش إذ قرب الموردُ
وتطوى المسافات سيان فيها
أخو كدح أم فتى سيّدُ

❀ ❀ ❀

تباركت يا مبدع الملكوت
وجل عطاؤك إذ يرفدُ
تنادي على الكون وهو دخان
فيأتيك طوعاً كما يعهدُ
ويصبح والأرض رهن يديك
فتمضي المقادير أو ترصدُ
وفي لحظة من زمان السماء
تسوي عوالمها تمهد
تباركت إذ صغت هذا الوجود
لكي يعمر الناس أو يسعدوا

❀ ❀ ❀

حــرام عــلــيــنــا وقــد طــوقــت
بــهــذا الــســخــاء الــكــبــيــر يــدُ
حــرام عــلــيــنــا وفــي كــل يــوم
يــظــلّــلــنــا قــدر أيِّــدُ!
حـرام عـلـى الـعـمـر أنـى اتـجـهـنـا
ســواءً مــضــى الأمــس جــاء الــغــدُ
وجــدنــاه يــعــطــي ولا مــن حــدود
ويــهــدي الــحــيــارى لــكــي يــرشــدوا
أثــمّ إذا أذعــنــت فــي الــوجــود
جــبــاه فــهــل غــيــره تــعــبــدُ؟!

الضــوء في الظلمــة

إلى حمــاس..

ســامــتــنــا واغــتــســلــت بــنــا الآثــامُ
وتـــقـــطّـــعـــت فـــي دورنـــا الأرحـــامُ

صــرنــا عــلــى صــدأ يــكــاد حــديــدنــا
يـــبـــلـــى، وتـــذرو ريـــحـــه الأعـــوامُ

فــي كــل مــنــعــطــف لــنــا أحــدوثــة
وبـــكـــل حـــيـــن نـــمـــتـــطـــى ونـــضـــامُ

الــمــرتــجــى فــيــنــا تــطــيــش بــلــبّــه
فـــتـــن تـــضـــيـــع بـــلـــجّـــهـــا الأحـــلامُ

والــمــرتــجــى فــيــنــا تــدور بــرأســه
ظـــلـــم فـــيـــطـــفـــئ نـــوره ويـــنـــامُ

ونــكــاد مــن يَــبَــس تــرق عــظــامــنــا
فـــنـــســـيـــر لاقـــلـــب ولا أجـــســـامُ

تــتــنــاوش الــرمــم الــذئــاب فــكــلــمــا
نـــفـــدت تـــطـــوّع ســـيّـــد مـــطـــعـــامُ

أمـــم تـــداعـــى والـــمـــوائـــد جـــمـــة
وعـلـى الـمـوائـد قـصـعـة وطـعـامُ
خـيـراتـنـا نـهـب لـكـل شـهـيـة
وبـسـوحـنـا تـتـصـارع الأقـوامُ
كـلّ يـحـاول أن يـفـيء لـرايـة
ونـضـيـع لا أرض ولا أعـلامُ!

❀ ❀ ❀

لـم تـبـق في عـرض الـوجـود نـقـيـصـة
إلا أتـيـنـاهـا وشُـدّ لـجـامُ!
وتـكـاد مـن زمـن تـغـور فـعـالـنـا
فـتـصـيـر لا ألـف لـهـا أو لامُ
فـإذا تـبـاهـى الآخـرون بـفـعـلـهـم
أضـحـى لـنـا في الـخـافـقـيـن كـلامُ
وإذا تـحـقـق غـيـرنـا بـحـضـوره
غـبـنـاً وخـبـأ رأسـه الـنّـعـامُ
أمـسـيـنـا لا هـدف يـحـركـنـا ولا
تـهـتـز فـي أرواحـنـا الأحـلامُ!

❀ ❀ ❀

حـتـى شـهـدنـاهـا بـلـيـل ضـيـاعـنـا
فـكـأنـهـا الـحـادي وعـز مـرامُ

نـاران مـن غـضـب تـوقّـد جـمـرهـا
وسـعـى بـهـا الإيـمـان والإلـهـامُ
حـمـم تـلـظّـى فـي شـرايـيـن الـدجـى
فـأنـار مـن ألـق وشـق ظـلامُ
نـاران في الـقـدس الـحـزيـن تـفـجـرت
فـأضـاء فـي نـابـلـس ـ ثـم ـ ضـرامُ
فـاخـلـع نـعـالـك أيـهـا الـساري فـقـد
جـل الـمـقـام ومـحّـض الإسـلامُ

❁ ❁ ❁

آتـون مـن عـصـر الـرسـالـة طـالـمـا
عـزف الـرصـاص لـهـم وسـلّ حـسـامُ
الـقـاطـعـون الـدرب في غـبـش الـدجـى
وعـلـى الـمـفـاوز عـتـمـة وقـتـامُ
آتـون والـغـضـب الـعـتـي يـقـودهـم
ويـثـور مـن عـصـف فـلـيـس يـرامُ
فـلـو أن مـا في الـطـور مـحـض حـجـارة
لـتـطـايـرت حـمـمـاً وصـب ركـامُ
ولاطـبـقـت رعـد الـسـمـاء وزلـزلـت
مـن فـوق سـيـنـاء لـهـا الأقـدامُ!

❁ ❁ ❁

يـا أيـهـا الـمـاضـون صـوب خـلاصـهـم
نـفـت الـمـبـادئ مـا بـنـى الإجـرامُ
الـمـنـكـرون عـلـى الـدعـي سـلامـه
كـذب دعـاواه فـلـيـس سـلامُ
فـي كـل يـوم فـتـنـة دمـويـة
ولـكـل شـبـر لـوعـة وغـرامُ!
هـذا أوان الـفـتـح فـانـتـظـري فـقـد
شـد الأعـنـة يـا حـطـين قـسّـامُ
هـذا أوان الـشـد فـاشـتـعـلـي فـقـد
حـم الـقـضـاء وسـطـرت أقـلامُ

بطاقة
في عيد ميلاد

نــــداؤك يـــارب لـــم يـــســـمـــعـــوهُ
وإنـــجـيـلـهـم فـي الـهـوى ضـيـعـوهُ
ويـــارب أقـــســـم أن الـــمـــســـيـــح
بـــلـــيـــلـــة مـــيـــلاده روعـــوهُ
وأن الـــعـــفـــاف الـــذي جـــاء فـــيـــه
يـــدنـــســـه عـــبـــث شـــرّعـــوهُ
وأن الـــــرداء، وجـــــل الـــــرداء
عــن الـجـسـد الـعـف قـد نـزعـوهُ
وأن الـــذيـــن أرادوا الـــخـــلاص
بـبـحـر خـطـيـئـاتـهـم أوقـعـوهُ!

❀ ❀ ❀

نـــداؤك مـــنـــذ زمـــان بـــعـــيـــد
عـلـى مـذبـح الـشـرك قـدّ ودعـوهُ

تمارس باسم المسيح البلايا
ولم يعرفوا أنهم أوجعوهُ!
وفي كل يوم تزيد الخطايا
وفي ظنهم أنهم رفعوهُ!
وتغدو تقاليد ميلاده
طريقاً إلى حمأة قطعوهُ
ويطغى على ألق الذكريات
دخان المعاصي وما فرّعوهُ

۞ ۞ ۞

نداؤك في صخب الأمسيات
يغيب ويبقى لهم ما ادّعوهُ
تجول الشياطين في حفلهم
ويمرح إبليس إذ أطمعوهُ
وتقرع نخب اليسوع الكؤوس
ويزحمها ميسر أقرعوهُ!
يدنس من إثمهم كل ركن
ويحرق في الغي ما جمعوهُ
وتبقى تدق نواقيسها
مؤملة حصد ما زرعوهُ!

۞ ۞ ۞

نـــداؤك، والـــقـــوم إذ أدلـــجـــوا

بـــبـــحـــر الـــذنـــوب ومـــا صـــنـــعـــوهُ

تـــغـــطـــي عـــلـــيـــه الأكـــاذيـــب حـــتـــى

يـــغـــيـــب لـــيـــظـــهـــر مـــا وضـــعـــوهُ

هـــمـــو حـــرفـــوا كـــلـــمـــات الـــمـــســـيـــح

وهـــم مـــن صـــنـــوف الأذى جـــرّعـــوهُ

هـــمـــو حـــمّـــلـــوه صـــلـــيـــب الـــخـــطـــايـــا

وحـــادوا عـــن الـــدرب إذ خـــدعـــوهُ

هـــمـــو زعـــمـــوه، وحـــاشـــاك، ربـــاً

وظـــنـــوا بـــأنـــهـــمـــو تـــبـــعـــوهُ!

❀ ❀ ❀

نـــداؤك، جـــل الـــنـــداء الـــعـــمـــيـــق

ولـــكـــنـــهـــم ـ أســـفـــاً ـ لـــم يـــعـــوهُ!

بـــعـــثـــت نـــبـــيـــك كـــي يـــخـــرجـــوا

إلـــى الـــنـــور لـــكـــنـــهـــم مـــنـــعـــوهُ

وســـار بـــهـــم فـــي طـــريـــق الـــخـــلاص

ونـــادى فـــصـــمـــوا ولـــم يـــســـمـــعـــوهُ

أراد لـــهـــم ســـعـــة فـــي الـــمـــســـيـــر

فـــســـدوا الـــطـــريـــق ومـــا أشـــرعـــوهُ

فــرحــمــاك يــا أيــهــا الــنــاصــري
وأكــــرم بـــديـــنـــك إذ شـــيّـــعـــوهُ



شيء عن الصـــراع

١

سـئـمـتـك يـا أرض مـلـت خـطـايـا
طـريـقـك والـقـيـد يـشـتـاق أسـري
سـئـمـتـك، لـولا ضـلال الـقـنـوط
ونــور مــن الله فــي الــروح يــجــري
ولــولا مــرور الــزمــان الــرتــيــب
يــحــد مــن الــوهــم الــمــســتــقــرِّ
إذاً لــعــشــقــت الــفــنــاء ســريــعــاً
يــجــيء، ويــفــتــح كــوة قــبــري!
ولــكــنــه قــدر أن نــعــانــي
لــنــمــتــاز بــيــن تــراب وتــبــرِ!

٢

أرى الـشـر يـزحـف خـلـف الـجـبـال
وتــحــت الــروابــي فــي الــمــنــحــدرْ

ويصبغ بالشؤم روح الحياة
فيهرب بين يديه القمرْ!
وثمة من يبتغيها مآس
كأن القلوب غدت من حجرْ
وإنّ من الحجر المستبد
لما يتفجر منه النهرْ
ولكنها حكمة أن يرقّ
جفاء الصخور فهل ندّكرْ؟

٣

إذا ما أحس القوي مراساً
أعيذ الضعيف من القهقرى
تزول خرائط هذا الوجود
وتمحى شعوب، وتفنى قرى
أتلك إذاً سنة في الحياة
أم الناس تمشي وليست ترى؟
فيا قوم عزتكم في السلاح
فشدوا العزائم، غلوا الكرى
وليس الضعيف يمنى وجوداً
ولكنّ من يحمل الخنجرا!!

٤

بـــمـــســـرح هـــذه الـــحـــيـــاة صـــراع
عـلـى الـسـلـم أو فـي ظـلال الـبـنـودِ
كـــأنّ الـــحـــيـــاة جـــحـــيـــم رهـــيـــب
ونـحـن الـمـسـاكـيـن مـحـض وقـودِ!
ومـا هـو بـالـغـشـم يـجـري عـلـيـنـا
ولـكـنـه مـن صـنـيـع الـعـبـيـدِ!
ولـيـس الـسـلام الـذي نـبـتـغـيـه
سـكـونـاً، ولا حـجـة لـقـعـودِ
ولـكـن جـهـاد إلـى أن يـحـق
هـدى الله فـي جـنـبـات الـوجـودِ

٥

ولـولا تـدافـع هـذه الأنـام
لـحـط عـلـى الأرض لـيـل ثـقـيـلُ
تـظـل ومـا انـتـفـضـت مـن عـثـار
وتـبـقـى ومـا زحـزح الـمـسـتـحـيـلُ
ويـمـضـي الـطـواغـيـت يـلـوونـهـا
ويـبـغـونـهـا عـوجـاً فـتـمـيـلُ

وتـذبـح بـاسـم الـسـلام الـضـحـايـا
ويـمـسـي الـهـوى سـيـداً فـيـصـولُ
ومـا ثـم غـيـر الـكـفـاح طـريـق
فـإن أسـنـت فـيـحـق رحـيـلُ!

بطاقة
في ذكرى المولد

أيّ دين علا وأي اتقادِ
شع في الكون من سنا الميلادِ؟

مشرقاً، قلبه الكبير نبيّي
والكتاب المحفوظ في الآبادِ

هز أسطورة الضلال بدنيا
كان فيها الهدى على ميعادِ

فغدا العمر ملعباً لجهاد
وغدا الموت أروع الأعيادِ

وغدا المؤمنون صرخة حق
في سبيل الإنسان في الآمادِ

كان يشقى ويستذل لبطش
من طغاة الهوى والاستبدادِ

كان يشقى وكان يرسف في القيـ
ـد على كل سقطة أو رشادِ

فـــإذا الـــعـــدل كـــالـــســـراب خـــيـــالاً
وإذا الـــبـــغـــي فـــي الـــمـــشـــارق عـــادي
وإذا الـــحـــق صـــار مـــحـــض أمـــان
اســتــطــال الــطــاغــوت فــي كــل نــادِ
ويـــجـــيء الإســـلام ثـــورة إنـــســـا
ن عــلــى الــقــهــر والــخــنــا والاســتــعــبــادِ




فتلك مصارعهم

إلى الشهيد ناظم الطبقجلي وإخوانه الذين أعدموا عام ١٩٥٩م.

صببت عليهم جام الوعيدْ
فته يا (زعيم) فأنت الوحيدْ!
وصر في (العراق) إلٰهاً كبيراً
كما صار من قبل (نوري السعيدْ)
وأنزل سياطك ما الشعب إلّا
قطيع يسوقه راع شديدْ
وما هو إلا ضحايا إله
ستذبح للرب في يوم عيدْ
وعيدك أنت مجازر شعبي
فهات الخمور ونادِ بعودْ
على رنة الحزن تحيي الليالي
وآهات ثكلى تكون الوعودْ!
وتشرب والصحب ملء الكؤوس
خموراً، ويشرب شعبي الصديدْ



أفـــي كـــل يـــوم يـــروّع قـــومـــي
وتـــحـــفـــر عـــبـــر الـــطـــريـــق الـــلـــحـــودْ؟
وتـــنـــصـــب فـــي الـــدرب أعـــوادهـــم
وتـــغـــرس نـــارهـــم فـــي الـــخـــدودْ؟
أفـــي كـــل يـــوم يـــشـــيـــع شـــعـــبـــي
شـــهـــيـــداً ويـــبـــكـــي يـــتـــيـــم جـــديـــدْ؟
وتـــصـــبـــغ أيـــامـــنـــا بـــالـــدمـــاء
وبـــالـــحـــزن فـــي غـــمـــغـــمـــات الـــقـــصـــيـــدْ؟

❊ ❊ ❊

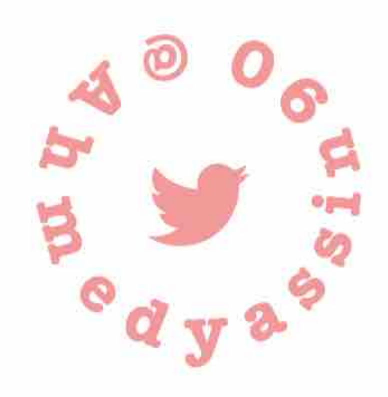
إلـــى الله ســـوف يـــعـــود الـــشـــهـــيـــد
وهـــذا جـــزاء الـــذي لا يـــحـــيـــدْ
يـــقـــول الـــحـــقـــيـــقـــة رغـــم الـــرصـــاص
يـــؤزّ بـــغـــدر ويُـــنـــصـــب عـــودْ
فـــقـــل (لـــلـــزعـــيـــم) بـــأن الـــضـــحـــايـــا
ســـتـــمـــضـــي إلـــى الـــخـــلـــد كـــي لا يـــعـــودْ
فـــو الله لـــن يـــســـتـــمـــر الـــطـــغـــاة
عـــلـــى كـــيـــدهـــم يـــنـــكـــثـــون الـــعـــهـــودْ
وكـــيـــف؟ وإســـلامـــنـــا ثـــورة
عـــلـــى الـــظـــلـــم هـــدامـــة لـــلـــقـــيـــودْ؟

وكـــيـــف وقـــرآنـــنـــا فـــي يـــد
ويـرعـد فـي الأخـرى صـوت الـحـديـدْ؟

❀ ❀ ❀

تــعــلّــمــنــا ســنــة الــغــابــريــن
وتــحــكــي نــوامــيــس هــذا الــوجــودْ
بـــأن الـــطـــواغـــيـــت آجـــالـــهـــم
عــلــى غــيــر مــا تــشــتــهــي وتــريــدْ
فــتــلــك مــصــارعــهــم فــي الــطــريــق
وهـــذي الـــقـــرى قـــائـــم وحـــصـــيـــدْ!





@Ahmedyassin90

المدينة والحلم

إلى الأخ الدكتور: عبد القدوس أبو صالح.

مـديـحـك إن شـئـت أو قـل هـجـاءَ
بـورده عـنـك يـصـيـر سـواءَ
حـروفـك تـجـري عـلـى أي وضـع
فـيـغـدو قـصـيـدك نـاراً ومـاءَ!
وأنـت الـمـحـب الـذي تـسـتـحـيـ
ل مـلامـاتـه رقـةً وحـيـاءَ
وأنـت الـمـعـلـم كـيـف تـكـون الـ
مـحـبـة، كـيـف نـرى ثـلـة أصـفـيـاءَ
وكـيـف يـصـيـر الـفـراق حـضـوراً
وكـيـف يـكـون الـوفـاء وفـاءَ!

۞ ۞ ۞

أبـا صـالـح، والـزمـان الـكـئـيـب
يـقـلّـب شـداً بـنـا وارتـخـاءَ

ونــشــعــر حــيــنــاً بــأن يــداً
تــريــد لــتــحــجــب عــنــا الــســمــاءَ
ونــشــعــر أنّــا نــضــيــع وأنّــا
نــعــانــي مــن الاخــتــنــاق بــلاءَ!
ومــا ثــم إلا ومــيــض (الأديــب)
يــجــيء مــع الــمــهــلــكــات وِجــاءَ
يــحــررنــا مــن هــمــوم الــمــخــاو
ف، يــمــنــحــنــا بــرؤاه الــضــيــاءَ

❀ ❀ ❀

أبــا صــالــح والــلــيــالــي حــبــالى
وقــد طــلــيــت خــدعــةً وريــاءَ
ومــا ثــم خــلــف الــرداء الــمــزيــّ
ـف غــيــر الــهــلاك أذى وابــتــلاءَ
وإنــي لألــمــح فــي أفــقــهــا
ســحــابــاً ســيــمــطــر فــيــنــا الــوبــاءَ
وإنــي لأســمــع فــي رحــمــهــا
فــحــيــح الأفــاعــي يــنــزّ اشــتــهــاءَ
ولــيــســت ســوى الــكــلــمــات لــ
مــبــاضــع، تــجــهــض، تــســقــط ذاك الــرداءَ

❀ ❀ ❀

تذكرت أيامنا المترعات

على ضيقها المستبد عطاءَ[١]

فحيناً نعالنه جهرة

وحيناً نمحّصه اختباءَ

ولم نك نرجو على الحالتين

سوى حلم قد أطل رجاءَ

تنادت له في الظلام المرير

عزائم لاتبتغيه انطفاءَ

إذا ثلّ في زمن سيف قوم

فأحرى بأقلامهم أن تضاءَ!

❁ ❁ ❁

وأذكر كيف يصير النداء

إلى (الفجر) للعبرات نداءَ

نغذ الخطا في رحاب الرسول

وصوت البخاريّ[٢] يبكي انتشاءَ

ونجتاز درباً يشع سنا

تصادت به الهمهمات دعاءَ

(١) إشارة إلى جلسات أخوية بين عدد من أدباء الإسلام لوضع اللمسات الأولى لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة الرسول ﷺ في ربيع عام ١٩٨٢م.

(٢) مؤذن الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة.

تــســـابــق أرواحـــنـــا خـــطـــونـــا
فـتــرشـف فــي الـــنــســمــات الــرواءَ
ونــعـــرف، إذ عـــجــز الـــحــكــمــاء
بــأنــك تــعــطـي الــجـراح الــشــفــاءَ!

❀ ❀ ❀

أمـــانـــاً مـــحـــمـــد هـــا أنـــا ذا
مـحــب أثــارت لــواعــجـه الــبــرحــاءَ
حــزيــن أتــى مــن طــريــق بــعــيــد
غــريــب يــعــانــي الأذى والــجــفــاءَ
كــئــيــب ويــبــغــيــه مــنــك عــلاجــاً
مـــريـــض ويـــرجـــوه مـــنـــك دواءَ
أمـــانـــاً فـــمـــن زمـــن اشـــتـــهـــى
صـــلاة تـــذيـــب الـــفـــؤاد بـــكـــاءَ
هـــنـــا أنـــا ذا بـــعـــد طـــول انـــتـــظـــار
لأقــبــس (مــنــك) صــبــاحَ مــســاءَ

الطبيب[١]

جســـدي بــالــخــفــقــان يــذوبُ
مــعــطــوب قــلــبــي مــعــطــوبُ
مــن فــجــر الــعــمــر وعــافــيــتــي
لــم يُــجــدِ إزاهــا الــتــطــبــيــبُ
مــرت فــي الــصــبــح عــلــى عــجــل
لــم تــســمــع صــوتــي فــتــجــيــبُ
أصــحــو والــكــرب يــحــاصــرنــي
وأنـــام وروحـــي مـــكـــروبُ
ويــقــيــم الــهــم عــلــى مــكــث
والــعــســر بــعــيــد وقــريــبُ
أتــشــبــث والــوجــع الــقــاســي
يــســري فــي الأوصــال يــلــوبُ
تــسْــودّ بــعــيــنــيّ الــدنــيــا

(١) إلى م. ن الذي عانى طويلاً من أوجاع في قلبه كادت أن تأتي عليه. فلما توجه إلى الله وفوض أمره إليه تغير الحال غير الحال.

وتـضـيـق عـلـى الـيـأس دروبُ
يـحـيـا الـمـكـروب عـلـى وجـل
ويـعـانـي فـمـا ثـم طـبـيـبُ
وتـمـرّ الأوجـاع بـه تـتـرى
ظـلـمـات والـلـيـل رهـيـبُ
تـمـضـي وصـنـوف بـضـاعـتـهـا
سـم يـخـفـيـه الـتـرغـيـبُ
تـتـنـاوشـهـا أيـدي الـمـرضـى
أتـراهـا تـلـبـي الـمـطـلـوب؟[1]

❀ ❀ ❀

يـنـسـى الإنـسـان عـلـى وَهَـنٍ
أن طـريـق الله رحـيـبُ!
فـيـظـل يـعـانـي مـن وَصَـبٍ
يـنـفـك قـلـيـلاً ويـؤوبُ
ويـشـيـل عـلـى كـتـفـيـه الـدنـيـا
مـأسـور فـيـهـا مـصـلـوبُ

❀ ❀ ❀

أتـذكّـر فـي سـاعـة روع

---

(١) إشارة إلى الأدوية التي يلتهمها المرضى أحياناً دون جدوى.

«ادعــونــي» فــإنــي ســأجــيــبُ!

لــحــظــات والــويــل تــلاشــى

وتــنــاءت فــي الــلــيــل خــطــوبُ

ويــجــيء الــيــســر عــلــى قــدَر

فــكــأنــه فــي لــوح مــكــتــوبُ

لــن يــشــفــي الــطــب عــلــى مَــرَض

لــكــنّ الــشــافــي الــمــحــبــوبُ




والموعد الله...

أرنـــو إلـــى الـــدنـــيـــا وأمـــتـــنـــعُ
لـــم يـــبـــق لـــلآمـــال مـــتـــســـعُ
بـــالأمـــس أشـــواقـــي تـــدمـــرنـــي
والـــيـــوم لا شـــوق ولا طـــمـــعُ
لـــم أبـــلـــغ الـــخـــمـــســـيـــن لـــكـــن الـــ
حـــادثـــات لـــهـــا مـــنـــطـــق يـــضـــعُ
عـــشـــرون عـــامـــاً أرتـــجـــي حـــلـــمـــاً
وعـــلـــى مـــدى الآفـــاق مـــنـــتـــجـــعُ
عـــشـــرون والـــدنـــيـــا تـــلاحـــقـــنـــي
فـــأطـــيـــر لـــلـــصـــبـــوات أنـــدفـــعُ
عـــشـــرون لا هـــم ولا كـــدر
وأخـــالـــهـــا صـــفـــواً فـــلا فـــزعُ
عـــشـــرون لـــكـــنْ أنَّـــى ـ أســـفـــاً ـ
يـــحـــتـــاط لـــلأخـــرى فـــيـــمـــتـــنـــعُ؟

لـكـأنـهـا الـذكـرى وحـق لـهـا
أن تـلـجـم الـلاهـي فـيـرتـدعُ
فـالـيـوم يـأتـي مـن يـنـبـهـنـي
أن ألـتـزم حـذري فـلا أدعُ
الـيـوم يـقـتـلـعـونـه كـبـداً
وغـداً لـعـل الـقـلـب يـقـتـطـعُ

❀ ❀ ❀

كـل الـتـي تـبـتـغـون ضـائـعـة
كـل الـذي تـعـطـون مـرتـجـعُ
وعـلـى مـدى الـطـرقـات ضـارعـة
حـيـنـاً، وحـيـنـاً خـائـف فـزعُ

لـم يـبـق فـي الـدنـيـا مـؤمـلـة
إلا وفـي خـفـقـانـهـا الـوجـعُ
لـم يـبـق فـي الـدنـيـا وحـق لـهـا
أن تـسـتـزيـد بـمـا يـردي ومـا يـسـعُ
يـاأيـهـا الـبـانـون حـسـبـكـم
إن الـذي تـبـنـون يـنـصـدعُ!
إن الـتـي تـرجـون ذاهـبـة
وذاهـب مـا حـبـاه الـكـد والـجـشـعُ

وأنّ جوهرها هذا تناقضها
وأن أضدادها الطغيان والورعُ
وليس ثمة من غاد ومرتحل
إلا وفي نزواته الهلعُ
فما لا وهامنا تمضي مصعدة
ونحن نجتازها خفضاً ونتضعُ؟

❊ ❊ ❊

يا أيها الماضي لبغيته
ركضاً وما يدري متى يقعُ!
يا أيها المفتون زخرفه
عبث وخلف بريقه الصرعُ
يا أيها الساري وما اتسخت
عباءة قد طواها الموت والنزعُ
أواه لو تدري مخادعة
بأن غبار أكاذيب سينقشعُ
وأن لذّاتها شرك لآهتها
وأن غبّ أمانيها لمنقطعُ!
وأن كل أخي دنيا معطرة
أعطافه، سيعاف الدار ينتزعُ

وأن مأساتنا أنا نغادرها
حفياً فلا نعل ولا شسعُ
ململمين بأكفان ممزقة
ومودّعين فلا أهل ولا شيعُ
وليس ثمة إلا الله موعدنا
وباطل ما بناه الوهم والجزعُ
وليس ثمة إلاه وحق له
أن يستردّ عطاياه فما يدعُ

مرثية لأخي...

رحـلـت بـلا كـلـمـات الـوداعِ
فـخـلـفـتـني فـي أسـى والـتـيـاعِ
هـرعـت إلـيـك ودقـات قـلـبـي
تـئـن فـألـجـمـهـا بـامـتـنـاعـي
هـرعـت وقـد انـتـعـلـت فـؤادي
فـطـال الـطـريـق ومـا ثـم داعـي
فـلـمـا رأيـتـك بـح نـدائـي
ودومـت فـي لـجـة وضـيـاعِ
أفـي لـحـظـات تـغـور الـحـيـاة
ولا يـبـقـى فـي الـعـيـن أي الـتـمـاعِ؟

❀ ❀ ❀

صـحـبـتـك مـنـذ طـفـولـة عـمـري
شـقـيـاً، وصـنـو أذى ونـزاعِ
تـلـقـيـتَ مـني الـكـثـيـر صـغـيـراً
وأشـربـتَ مـن لـهـفـتي وانـصـيـاعـي

ولاحقتني في اصطياد الأماني

وفي الركض خلف خيال مطاعِ

مضى الدهر ينسج أعمارنا

ويستل لحمتها بانتزاعِ

ولم ندر أن الفراق وشيك

وأن المنى عجنت بخداعِ!

❀ ❀ ❀

تعلمتَ كيف يصير الكتاب

عشيقاً، وكيف يخط يراعي

وكنتَ ـ ولازلت بعد صبياً ـ

تريد اجتياز الدنا باندفاعِ

وترفع فوق المنابر صوتاً

يجاهد كي يرتجى لسماعِ

فلما كبرتَ كتبت كثيراً

ولم تدرّ زيفهم بقناعِ!

وقلت الذي كنت ترجو

صريحاً، ويحدوك دفق شعاعِ

❀ ❀ ❀

رحلنا معاً عبر كل طريق

وكـافـحـنـا فـي سـلـمـهـا والـصـراعِ
رنــونــا إلــى خــفــقــان الــنــجــوم
وخــضــنــا الــبــحــار بــألــف شــراعِ
وحــاقــت بــنــا نــزوات الــضــلال
فــكــلــنــا لــهــا الــرد صــاعــاً بــصــاعِ
وكــان يــؤرقــنــا أن نــرى الــضــا
ئعين حيارى وبنيانهم لانصداعِ
لــك الله يــا أنــبــل الأصــدقــاء
ويــا صــنــو عــمــري ونــدّ اصــطــراعــي

❁ ❁ ❁

تــعــلــمــتُ مــنــك الــكــثــيــر الــكــثــيــر
عــلــى فــارق بــيــنــنــا وانــقــطــاعِ
وكــنــت إذا حــزبــتــنــي الــهــمــوم
وأظــلــمــت الأرض غــاب اقــتــنــاعــي
أجــيــئــك حــتــى تــفــرج كــربــي
وآوي لــظــلــك فــي كــل ســاعِ
عــهــدت إلــيــك بــمــفــتــاح عــمــري
فــلــمــا فــقــدتــك شــل ذراعــي
ويــحــزنــنــي أن أظــل وحــيــداً

وأن تـمـضـي لا تـلـتـفـت لاسـتـمـاعـي

۞ ۞ ۞

وتــطــرق بــابــنــا بــالــضــحــكــاتِ

وتــجــتــاح أحــزانــنــا لا تــراعــي

وأذكــر كــيــف تــؤول الــغــيــوم

عــلــى كــل إطــلالــة لانــقــشــاعِ

وكــيــف أحــبــك كــل الــذيــن

تــلــقــوك مــحــض عــطــاء مــشــاعِ

مــنــحــت ســخــاءك لــلآخــريــن

وأفــرغــت فــي الــرحــل آخــر صــاعِ

فــلــمــا أتــانــا الــنــعــي تــنــادت

ـ عـلـى بـغـتـة الـمـوت ـ كـل الـبـقـاعِ

۞ ۞ ۞

تـمـحـضـت لـلـطـهـر مـذ كـنـت طـفـلاً

وأوغـلـت فـي الـدرب غـيـر مـضـاعِ

وأمـسـكـت حـبـل الإلـه الـمـتـيـن

وصـعّـدت لا تـكـتـرث لـمـتـاعِ

تـوضـأت لـلـمـوت قـبـل الأوان

فـجـاء عـلـى خـطـوات سـراعِ

نـطـقـت الـشـهـادة عـنـد الـمـصـيـر
وكـنـت الـبـشـيـر فـأصـبـحـت نـاعـي
مــضــى قــدر الله حــم الــفــراقِ
فـأرخـيـت فـي الـبـحـر كـل شـراعِ[1]




(١) ولد أخي نبيل خليل في الموصل عام ١٩٤٨م، وحصل على البكالوريوس في الهندسة الكهربائية عام ١٩٧٠م من جامعة الموصل، والماجستير في علوم الحاسبات عام ١٩٧٦م من جامعة براد فورد في إنكلترا. ألف وترجم عدداً من الكتب في مجال تخصصه، وحصل على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام ١٩٨٣م. وكان يملك قدرة أدبية متميزة بسبب كثرة مطالعاته، وقد انعكست في لغته الجميلة التي كان يكتب بها ويترجم البحوث والمؤلفات العلمية، فضلاً عن كتابة العديد من القصص القصيرة والمقالات التي نشرت في الصحف والمجلات العربية والإسلامية. توفي بالسكتة القلبية في ٢٢شباط عام ١٩٩٦م.

المحطات الأخيـرة

سـئـمـت ولـم يـبـق عـبـر طـريـقـي
سـوى أمـنـيـات ذوت فـي عـروقـي
حـسـبـت الـعـطـاء لـمـن يـسـتـزيـد
إذا بــه غــصــة حــلــق شــروقِ
نـعـيـش بـهـا الـلـفـحـات عـطـاشـاً
ومــن حــولـنـا ألــف نــبـع دفـوقِ
ونــهــرع ركــضــاً وراء الــســراب
وطـعـم الـلـظـى جـمـرة في الـحـلـوقِ
وأشـكـو لـمـن والـمـسـار طـويـل
ولــســت عــلــى ظــلــه بــلــحــوقِ؟

❀ ❀ ❀

أصــارحــكــم إثــر نــصــف مـضــيــن
فــمــا بــعــدهــا خــدعــة لــبــريــقِ
وأقــســم بــالله أنــي أراهــا
عــدواً تــخــفّــى بــثــوب صــديــقِ

إذا ضحكت كشفت عن نيوب
وقد مزجت سمها برحيقِ
وإن أسلست لحظات خطاها
فما ثم - من بعد - غير العقوقِ
تنادي وقد زينت نفسها
وأخفت تجاعيد وجه عتيقِ
وتفتن - إذ طليت - كل غر
فينسى أخاديد تلك الحروقِ
ولكنه إذ يجر إليها
مشوقاً لأحضان صب مشوقِ

تعالنه بضياع المصير
وتسلمه لخضم عميقِ
فما هو إلا حصاد الغرور
يؤول على غفلة لحريقِ
ونصحو بعد فوات الأوان
ولات إذا انصرمت من رفيقِ
أصارحكم لا أريد مراءً
ونحن على عتبات المضيقِ

تمر السنون فتأكل منا
وتقضم في مغرب وشروقِ
ويأكل منشار أعمارنا
ويحسبها زفرةً بشهيقِ
تمر فلا تلتفت لوراء
تلم الكؤوس فلا من غبوقِ
وما هو إلا انصرام الثواني
ويسمع في الدار صوت النعيقِ

❁ ❁ ❁

أصارحكم فالأماني القصار
كذاب وما حكمها بدقيقِ
تخايل أن الرداء أصيل
ولكنه مثخن بشقوقِ!
وأن النسيج، برغم عراه،
يشف عن الزيف جد رقيقِ
وأن المراكب في البحر تجري
غريق عليها، وغير غريقِ
تؤمل في كل يوم وصولاً
فتغتالها عقبات الطريقِ

❁ ❁ ❁

أصارحكم بعد نصف مضين
وقد يلمح النصح غير شفيقِ
ولكنه العذر يوم الحساب
ويوم يفر أخ من شقيقِ
خبرت الحياة على كل حال
فميزت بين حصا وعقيقِ
وأبلت ثيابي تصاريفها
فما سلمت وصلة من خروقِ
خرجت فما أرجو شروى نقير
ولست للذاتها بعشيقِ
وشتان بين أسير يعاني
وصب يغازلها وطليقِ!

النشيد الإسلامي

١

عقيدتي تقودنا عبر الطريقْ

يصونها اليقينْ

تكلؤها رعاية الرحمن من مخاطر الطريقْ

فتطمئن للوصول في يقينْ

وغيرنا تاهوا على الطريقْ

إذ آثروا أن يرحلوا بلا يقينْ

فاضطربت مسالك المسير . . ضل عنهم الطريقْ

٢

عقيدتي تخاطب الإنسانْ

تمنحه الصراط نحو الله في مفاوز الآمادْ

تزيل من طريقه الأوثانْ

تنقذه من وجع الإذلال والضياع والفسادْ

تخرجه من زحمة الدنيا، وضيقها، من عبث السلطانْ

ومن عبادة العبادْ

تعده بالخير، والسلام، والأمانْ

٣

عقيدتي تلاحق الضلالْ

تطهر الأرض من الفجور والآثامْ

تريدها دنيا يسودها النقاء والكمالْ

وتختفي الأوجاع والآلامْ

تريدها دفقاً من الآمالْ

تخفق في جناتها الأحلامْ

ينصب في بستانها الشلالْ

٤

عقيدتي تجاهد الشقاءْ

ترد للإنسان ما ضيعه الأربابْ

تهبه الأرض ثم تفتح الطريق للسماءْ

تقوده إلى دنى مشرعة الأبوابْ

تمنحه الأفعال. والأشياء. . والأسماءْ

فتعمر الدنيا وتزهو في ربوعها الأطيابْ

يدرّ ضرع التين والزيتون. . تعطي وعدها الحناءْ!

٥

عقيدتي تفجر الإبداعْ

تنفخ نار الله في أوردة الحياةْ

فيخفق الشراعْ

وتنطلق مراكب الوعود في الغداةْ

آمنة من لجة الضياعْ

محفوظة بكِلْمة الإله من غوائل الخلجان من مهامهْ الفلاةْ

تعود كي تمنحنا الثمار والمتاعْ

٦

عقيدتي تقطّر الفيوض في الأرواحْ

تمنحها الطيوبْ

فتنطلق في رحلة المساء والصباحْ

تجتاز في طريقها الغيوبْ

ربانها ملاحْ!

عقيدتي تكسر رين الإلف عن مسارب القلوبْ

وتمنح المفتاحْ!

٧

عقيدتي شريعة الحريّهْ

ترفع سيف الحق في منازل الطاغوتْ

تقاتل الإرهاب والوحشيهْ

تمضي إلى فرعون أو جالوتْ

وتفتح الطريق للإنسان صوب البهجة الكونيهْ

تزيل في مسارها الأسرار، والأغلال، واللاهوتْ

تمضي لكي تقيم حكم الله في حياتنا الأرضيهْ

رحلة في المصير

١

يلوح بكل ضمير نقي سؤالْ

بأعماق كل الذين طوى عصرنا

بعالمنا المتعب الراهنِ

إلى أين؟ كيف يكون المآلْ؟

ولم يبق في يدنا أمرنا

نجدف في زمن آسنٍ؟

ولم ندر أن السفينهْ

إذا قادها رائد باقتدارْ

فعما قريب سيطلع ضوء النهارْ

وترسو بمرفئها آمنهْ

ولكنْ سفينة عالمنا

غدت من زمان بعيد رهينهْ

بأيدي طواغيت عالمنا!

فإن لم نفق ونرد القيادْ

إلى العصبة المؤمنهْ

فعما قريب ستهوي بنا

بلى.. سوف تهوي بنا

ولم نجن إلا مرير الحصادْ

ويبقى السؤالْ

يلوح بكل ضمير نقيٍّ

إلى أين؟ كيف يكون المآلْ؟

٢

وكان الرسول ينادي السماءْ

وروحه تجتاز أقطارها

وترحل عبر تخوم الفضاءْ

وتمضي لتقرأ أسرارها

وتبعد.. تبعد حتى تدانى

حدود الخلود وعطر الجنانِ

ولكنه ظل يرنو بعمقٍ

إلى الأرض. . يكسر أسوارها

وعبر رمال الصحارى

تحدى أعاصيرها

وقاد الملايين صوب غد مترع بالأماني

غد يستريح له الكادحون

ويبنون دنياهم بأمانِ

وما قال يوماً وهم في المسارِ

بأن الحياة قذى وهم خاطئون

فمملكتي في السماءْ!

٣

يظل بنو آدم: يحلمونْ

إذا ناموا هم يحلمونْ

إذا استيقظوا يحلمونْ

إذا سعدوا أو شقوا يحلمونْ

ولكن صحوتهمْ

تجيء وهم ميتونْ

ويبقى الذين يعيشون يقظتهمْ

يظنون أنهم قادرونْ

على نيل ما يشتهونْ

ولكنهم مخطئونْ

لأنهمُ يحلمونْ

لأنهمُ يحلمونْ!

٤

ألا بئست أعين لم تعان البكاءْ

إذا سهرت في الليالي

يبللها الدمع يخفق في مقلتيها

إذا خطرت نجمة أو تجلت ذكاءْ

وأفئدة لم تعان التقلب خوفاً وحباً

فليست سوى قبضة من خواءْ

وأنى لأفئدة خفقت أن تعود إلى دركات الفناءْ؟

فيا أيها العاشقون تعالوا إلى ومضات الجمالِ

إلى حيث لايبتغي شاعر أن يؤوبْ

فإن لم نذق طعمها ونذوبْ

هبطنا إلى ظلمات المآلِ

هنالك حيث كثافة عالمنا واصطراع البقاءْ. .

فنصبح والحشرات. . سواءْ. .

٥

على طوال مجرى الزمان الطويلِ

تأرجح تاريخنا كالسفينْ

فحيناً تضيعه غضاب الهديرِ

وتجتاحه ضربات السنينْ

وحيناً تقوده عبر المسيرِ

نسائم فجر بليلْ

ولكن راياته ما تهاوتْ

ولا تعبت أذرع المبحرينْ

إرادتهم ما استكانتْ

وكيف؟ وفي قلب كل مجاهدْ

نداء يقوده صوب المصيرْ

يطير به عبر ألف طريق مخيف. . حزينْ

إلى حيث لا ريح. . لاخوف. . لا زمهريرْ

وتبقى السواعدْ

تجدف عبر الزمان الطويلْ

على طول مجرى الزمان الطويلْ

٦

تأمل قائدنا العبقريِّ

بغار حراءِ

أتاح لنا في المدى السرمديِّ

طريقاً سداه ولحمته من ضياءِ

فيا جيل النور نثّ علينا

من الضوء شلالك الأبديا

فنحن نعاني الأعاصير مهما ركضنا

سواء انفردنا أو أنا سويا

دخان الزمان المعاصرِ

يكتم أنفاسنا

وريح التكاثرِ

تحفر أرماسنا

تفرق بين أب وبنيه

وأنى التفتنا رأينا الدخانْ

يباعد بين أخ وأخيه

وينساب بالشؤم فوق الزمانْ

ولسنا بهذا الضياع المخيفِ

سوى نقط الضوء وسط الظلامْ

تلوح بالأمل المستديم الشفيفِ

بنور ينث على الأفق يوم يزول الركامْ

وينفسح الدرب عبر القرونْ

على هدينا السرمدي

طريقاً يصوغه للضائعين

نداء نبيّ!

٧

بقرآننا ارتقينا السماء وصرنا على العهد شعباً فتيا

يناضل عالمه بتحدٍّ

ويصنع تاريخه العبقريا!

وكنا نقاتل ضد الخلاص ونمنح للحقد أنفسنا

عليها ندير الدوائرْ

وعبر نقيع الدماء وحد الخناجرْ

يغيّب في الأفق وهج السنا

مضى السوس يأكل أخلاقنا

ويحتلب الدود أحداقنا

ولم يبق في ظلمات السرائرْ

سوى عفن سيئ الطعم والرائحه

ومن حولنا أمم كسرويه

تحد.. وتصقل أظفارها الجارحه

سبت أرضنا

هتكت عرضنا

ولم يتصد لدرء الهزيمه

سوى (عنتره)!

ولكن (عنترة) شاعر لايرد هذه الهزيمهْ

وتبقى مظالم (كسرى) يظل هوى (قيصرا)

وفي اللحظات التي سبقت بعثنا

هرمنا وهبّت علينا القوى الجامحهْ

ولكن صيحة قائدنا

تعاليم رائدنا

محت عارنا الأبديا

وسرنا وراء معلمنا

نجاهد أعداءنا بتحدٍّ

ونصنع تاريخنا العبقريا!

٨

قديماً، ومنذ مئات القرونِ

ونحن أسارى

تراوح أفعالنا في المكانِ

ورغم مرور السنينِ

نظل أسارى

وقد حرن الليل، ضاع مسير الزمانِ

قديماً.. قديماً.. ونحن نمارس عشق الحجاره!!

تجمد أنظارنا في الترابِ

تلطخ أحلامنا بالقذاره

وفي وسط الدرب تعلو (مناه)

تسد الطريق علينا، وتحصرنا في الصحارى

فلا أمل يرتجى في البعيدِ

ولا أمنياتْ

نظل سكارى

ويفلت منا المصير وراء الحدودِ

هنالك حيث تضيع الرؤى ويحل الضبابْ..

ولكنّ صوتاً يجيء ونحن حيارى

فيوقظنا من عميق السباتْ

يحركنا عبر ألف جدار تقيمه (عزى) وتحميه (لاتْ)

فلم يبق، ثمة، بعد النداءِ

سوى هدف واحد كالقضاءِ:

نفك أسارانا من أسرهمْ

ونصنع عالمنا من جديدِ!!

٩

يعلمنا دوران السنينِ

وركض الضياء وراء الظلالِ

وعَود المسافر إثر رحيل بعيدِ

تعلمنا الأرض تخفق بعد شتاء طويل حزينِ

وتطلق روحها.. تبعث سحر الخيالِ

يعلمنا ذوبان الجليدِ!!

ودفق الشروق يجيء بأعقاب ليل طويلٍ..

ويركض.. يركض خلف ظلامهْ

يصارع رغبته في البقاءْ

ويسعى إلى كسره وانهزامه

فما ثم إلا الندى والصفاءْ

تعلمنا ضربات الزمانِ

تجيء فتقصم ظهر الطغاه

وتقلب ظهر المجنّ

لكل الذين أداروا ظهورهم للزمانِ!

وظنّوا الحياة

جداول تنساب رقراقة بلا كدر أو محنْ

تعلمنا غضبات البحارِ

وصولة أمواجها

تفاجئ في غفلة من نهارِ

عيوناً تداري بأبراجها!

فلا ترتجي صرخات الفرارِ

وربانها في القرارِ

يعانق في القعر حكم السنينْ!

١٠

ونعرف منذ قرونْ

بأن صياغة تاريخنا لن تكونْ

بدون صراخ (بلالْ)

وتعذيب (عمار) مقتل (ياسرْ)

وكسر يدي (مصعب) غرزها في الرمالْ

وصبر على ضربات المقادرْ

١١

لماذا نصوب أنظارنا في الظلامِ؟

لماذا التخبط في الحفر الضيقه؟

وأشواقنا إذ تشيرْ

تشير إلى ظلل كالغمامِ

نسائمها مخنقهْ؟

لماذا إلى حلم زائف كالسرابْ

يكون المسيرْ؟

وفي أي درب يكون الذهابْ

وقد ضاع.. قد ضاع منا المصيرْ؟

حرام علينا ـ ونحن بنو آدم ـ أن نكون حجارهْ

تساقط في الدرب مصبوغة بالترابِ

حرام عليها تقلّبها في القذاره

فيا سيد العالمين تمرّدْ

على شرعة الدود.. هيا تمرّدْ

وسارع إلى عالم الضوء حيث انفساح المدى

فليس لأربابنا الزائفين

مواعيد.. أو أمل.. أو هدى

سوى أن نظل نعاني الأنينْ

وتخنقنا الحفر الضيقه!

١٢

رياح السموم تحاصر عالمنا المرهقا

وتخنقه صبوات الرمالِ

وأنى التفتنا وجدنا الدجى محدقا

يهدده بضياع المآلِ

و(إنسان) هذا الزمان البئيسِ

يمارس (أشياء) لا مجديه

يساق بأفكار كل (تعيسِ)

إلى الحفر المرديه!

ويوماً فيوماً يحس مزيداً من الاختناقْ

مزيداً من الغربة القاسيه

ويدفعه الانغلاقْ

ـ وقد حاصرته الزوايا ـ

إلى الضربة القاضيه!

فيا أيها المؤمنون تخطوا جدار الدخانِ

وسيروا إلى عالم الفكر الخيّره

هنالك حيث انفساح المكانِ

تعانقه في النهايه

سموات أنجمنا النيّره!

١٣

إذا كان عالمنا مسرحاً للصراعْ

إذا كان كل قوي يسد الطريق على البائسينْ

إذا كان قد ند عنا الشراعْ

وصرنا على البحر كاليائسينْ

إذا كان كل عتي تطيش به نزوات الضلالِ

يكلمنا بالحرابْ

إذا كان يمطرنا بالنبالِ

ويسفو على ناظرينا الترابْ

فلا كان.. لا كان تاريخنا

ولا كان (عمرو) و (سعدٌ) و (خالدْ)

ولا التمعت في الصحارى المنى

وغطى على الأفق دفق الروافدْ

وكيف يكون لنا موطئ في البريّه

إذا لم يجئ (طارق) و(ابن قاسمْ)؟

ومن حولنا أمم بربريه

تداعى لها كل نذل وفاجرْ

مبادئها تستبيح المظالمْ

تعاليمها كسرويه

إذا وطئت مدناً كالمقابرْ

تذكرت الوقعة (الناصريه)[١]

فداست على الحرمات، تخطت حدود الضمائرْ

فيا أيها المسلمون تنادوا إلى صيحة أخرويه

تقاتل تحت دوي القنابل، قصف الحديدِ

وترمي إلى السوح كل مجاهدْ

تناديه (حطين) و (القادسيه)

وتدفعه صرخات (الوليدِ)[٢]

١٤

إذا كان في العزم درء الهزائمْ

ودفع المزيد من الضربات المواحقْ

إذا كنا نرجو انبعاث المقاتلْ

وقدرته في تخطي نداء الغنائمْ

تعشقه لغد أبدي الشمائلْ

فلا بد من أن نصوم الشهور الطوالْ

(١) إشارة إلى معركة حطين عام٥٨٣هـ التي قادها الناصر صلاح الدين، وأفضت إلى تحرير القدس.

(٢) إشارة إلى الخليفة الأموي الفاتح الوليد بن عبد الملك.

ونعرف كيف يكون التجرد، كيف تحل المصائبْ

ونسكب أدمعنا في لظى وابتهالْ

تعيد النقاء إلى ضربات القلوب الخوافقْ!

ولا بد من رحلة في جحيم الرمالْ

وسير على الشوك، مقدرة في تخطي المصاعبْ

ولا بد من درء كل انفعالْ

صعوداً على عتبات المشانقْ!

١٥

أحبائي..

والدرب بعد طويلْ

تند معانيه عن كلماتي..

أسرح عيني في بحرها

وتركض في إثرها أمنياتي

فيرتد طرفي حسيراً كليلْ

وكيف ـ وقد نفدت أحرفي ـ أن أجد سحرها؟

فحسبي ـ إذاً ـ رحلة مسرعهْ

تخطيت فيها حدود المصيرِ

ورغم ملامحه الموجعه

فلا بد من جولة في المصيرِ

وقد علمتنا معاني الحياة، وإلهامها المبدعُ

بأن الصباح يجيء وراء الليالي

إذا ازداد غيهبها بالبحار المفجعُ!

وإن عصفت بالبحار الرياحْ

رمت زبداً ولآلي!

فيا أيها المبحرون إلى عالم ما به من جراحْ

تخطوا حدود المواجع، سيروا على ومضات المآلِ

فهذا أوان الكفاحْ!

الرباعيات

١

تطير الحياة إلى ألف شوق
ونمضي إليها بألف جناحِ
تصعّد عبر المدى ثم تهوي
فنحيا على غدوها والرواحِ
يلاحقها الليل في كل حين
ولكنها وعدت بصباحِ
فحتى مَ نسكبها عبرات
وكيف نمحضها للنواحِ؟

٢

ويمنحنا الله نعماءه
طريقاً إلى الخير عدلاً سويا
يريد لنا أن نصير كباراً
وألا نرى في التكاثر شيا

ويفتح باب المغاليق حتى
نغادرها بكرة وعشيا
فنجتازها للسماء صعوداً
ونسعى إلى المكرمات رقيا

٣

هي الأرض قد تستحيل اعتقالاً
تضيق بنا فنود هروبا
ونمضي إلى كل هم قريب
ونعبرها في مداه دروبا
سموم الأعاصير تجتاحنا
وتسفو من المهلكات ضروبا
ولكننا لو عرفنا الطريق
لما ضُيقت بكرةً وغروبا

٤

يحفزنا الله في كل آن
بأن نعبر الكون طولاً وعرضا
ويأبى لنا أن نظل أسارى
فلا نتمحّض للخير محضا

ينادينا أن نرتقيها سماء
ويمنحنا النور ينساب فيضا
ولكننا نتأبى عليه
ونبغيها جحراً وضيقاً وخفضا

٥

حسيس الوجود يقول لنا
تعالوا إلى عالم الخفقانِ
يغازلنا النبض في كل شيء
ويحكي هواه بألف لسانِ
دماء الشقائق تنزف عشقاً
ويزهو البنفسج بالأرجوانِ
ويبقى نداء الغروب وتبقى
تباريحه في حوافي الزمانِ!

٦

على كل درب يطل الفناء
ويأتي على الرطب واليابسِ
وفي لحظة تستحيل حطاماً
حدائق من سندس مائسِ

وتـصـبـح ذكـرى أحـاديـث قـوم
وتـوضـع بـيـن يـدي دارسِ
ولـيـسـت سـوى كـلـمـات الإلـه
تـكـفـكـف مـن وضـعـنـا الـبـائـسِ

٧

لـمـاذا إذا روّع الآمـنـون
ومـزقـت الـريـح كـل شـراعِ
وأطـبـقـت الـسـحـب رعـداً وبـرقـاً
وغـطـت عـلـى حـسـرات الـوداعِ
أوى الـعـائـدون إلـى ربـهـم
وراحـوا يـنـادونـه بـالـتـيـاعِ!
لـمـاذا إذا أمـن الـخـائـفـون
نـسـوه كـأن لـم يـنـاده داعِ؟

٨

وفـي كـل يـوم يـكـون الـرحـيـل
عـلـى مـركـب فـي خـضـم الـبـحـارِ
كـأن الـذهـاب إلـى كـل صـقـع
مـصـيـر الـمـلايـيـن غـب انـتـظـارِ

نلف بها في دروب المواني
ونرجع ثانية للديارِ
وما ثم إلا دوار الليالي
يجيء لكي نرتحل في النهارِ

٩

وبعد موات الشتاء وبعد
معاناتنا في الليالي الطويلهْ
وبعد اكتساح الجليد الروابي
ومصرع كل الزهور الجميلهْ
وبعد اغتيال التدفق في الـ
عيون، وبعد انتحار الخميلهْ
يجيء الربيع فما ثم خوف
على البعث من نسمات عليلهْ

١٠

هو الحب في عصب الكائنات
فليس له أبداً من زوالِ
يعرش عند حنايا القلوب
ويشعل أضواءه في الليالي

يـطـل عـلـى الـكـون مـن ألـف درب
ويـمـضـي يـغـازل كـل خـيـالِ
يـسـافـر والـفـجـر فـي بـدئـه
ويـرجـع قـد زيـنـتـه الـلآلـي!

١١

يـريـد لـنـا الله جـل عـلاه
وفـاقـاً مـع الـكـون حـبـاً وشـوقـا
فـنـحـن وإيـاه صـنـع الـمـلـيـك
ونـحـن وإيـاه فـي الـوجـد غـرقـى
تـسـبـح ذراتـه فـي الـلـيـالـي
ونـسـجـد في الـفـجـر، سـيـان، عـشـقـا
وفـي كـل يـوم يـجـيء الـنـداء:
تـبـاركـت فـي أعـطـيـاتـك خـلـقـا!

١٢

وقـد يـغـلـب الـحـق فـي جـولـة
وأخـرى.. ويـنـتـفـش الـبـاطـلُ
يـخـيّـل لـلـبـعـض أن الـحـيـاة
سـيـغـتـالـهـا مـجـرم قـاتـلُ!

وأن جمال الوجود سجين
وأن الهدى ظله زائلُ
ولكنها محنة ويقام
على الدرب بنيانه المائلُ!

١٣

إلى أين؟ سدت دروب الخلاص
وضاعت مع الظلمات دروبُ
وغطى الضباب على كل أفق
وخيم في المشرقين غروبُ
وقام الطواغيت يبغونها
ضياعاً.. وذلاً.. وليس حسيبُ
وننسى نداء الأمان الذليل
وندعو الإله فهل يستجيبُ؟

١٤

وحتى قيام النفير الأخير
سنمضي لتزيين هذي الحياهْ
ونجتاز كل صحارى الوجود
سراعاً فنغمرها بالمياهْ

نــــفـــجـــر فـــي كـــل دار رواء
ونـــرفـــع فـــي كـــل حـــي صـــلاةْ
وتـــبـــقـــى الـــفـــســـائـــل مـــخـــضـــرة
ويـــبـــقـــى الـــتـــطـــلـــع نـــحـــو الإلـــهْ!

١٥

هـــو الـــوجـــد قـــد أشـــعـــلـــت نـــاره
فـــأزهـــر فـــي الـــخـــافـــقـــيـــن الـــضـــيـــاءَ
يـــشـــب بـــأرواحـــنـــا تـــارة
فـــتـــمـــضـــي لـــكـــي تـــرتـــقـــيـــهـــا ســـمـــاءَ
تـــعـــانـــق عـــبـــر الـــرحـــيـــل الـــطـــويـــل
عـــوالـــم قـــد مـــحـــضـــتـــه صـــفـــاءَ
ويـــجـــتـــاز حـــيـــنـــاً حـــنـــايـــا الـــقـــلـــوب
يـــلـــوّعـــهـــا فـــتـــزيـــد عـــطـــاءَ!

١٦

كـــفـــاح الـــرســـالات عـــبـــر الـــزمـــان
يـــبـــاركـــه هـــدف واحـــدُ!
ومـــنـــذ عـــصـــور الـــصـــراع الـــبـــعـــيـــد
وإصـــرارهـــا فـــي الـــمـــدى خـــالـــدُ

هـو الله ولـيـخـسـأ الـمـشـركـون
ويـهـوي الـطـواغـيـت والـعـابـدُ
ويـبـقـى نـداء الـرسـالات يـبـقـى
عـلـى الـدهـر، دربـهـم صـاعـدُ

١٧

بـإغـرائـهـا قـد تـشـد الـحـيـاة
قـنـاعـاً عـلـى وجـهـهـا لا يـبـيـنُ
ويـخـدع فـي حـسـنـهـا كـل غـر
ويـركـض فـي إثـرهـا فـيـهـونُ
ولـولا نـداء الـنـبـيـيـن أضـحـت
خـرابـاً كـأن لـم تـكـن ويـكـونـوا
ريـاح الأضـالـيـل تـسـفـو دمـاراً
وتـأتـي تـعـالـيـمـهـم فـتـصـونُ

١٨

وإبـلـيـس يـجـتـاز ألـف طـريـق
إلـيـنـا، ويـلـبـس كـل قـنـاعِ
يـجـيء مـعـالـنـة تـارة
ويـنـسـاب حـيـنـاً بـغـيـر شـراعِ

يسايرنا باصطناع الوداد
ويبكي لمأساتنا بالتياعِ
فيسقط في شركه الضائعون
ونمضي فليس الهدى لضياعِ

١٩

لهم زخرف القول في كل حين
فليس لهم عنده جوهرُ
ويمسون قد زينت دارهم
وغطى على زيفها العنبرُ
ولكنها تحتويه خراباً
فتزهو وبستانها أصفرُ
فما هو إلا مرور الزمان
وتأتي على أسها الأعصرُ!

٢٠

وجوهر هذي الحياة رحيل
فتمضي وفي كل يوم رحيلُ
نؤمل في الفجر وصلاً جميلاً
ولكنه في المساء يحولُ

ونــرجــوه رغــم تــحــدي الــفــنــاء
طــويــلاً ولــكــنــه لا يــطــولُ
فــمــاذا لــو أنــا عــرفــنــا الــمــصــيــر
وجــئــنــاه والــركــب بــعــد ذلــولُ؟

٢١

تــعــالــيــت يــارب حــم الــفــراق
وبــابــك يــبــقــى ولا كــل بــابِ
وأوصــد غــيــرك أبــوابــهــم
وســدوا مــســالــكــنــا لإيــابِ
ويــبــقــى طــريــق الــرجــوع إلــيــك
عــريــضــاً يــخــفــف أي مــصــابِ!
تــعــالــيــت جــل الــســخــاء الــكــبــيــر
وهــان بــرحــمــاك كــل عــذابِ

٢٢

تــغــلــغــل فــي الــروح ســر الــوجــود
فــصــار لــه الــخــفــقــان شــراعــا
وأومــى فــمــا ثــم لــيــل بــهــيــم
ومــر فــمــا عــرفــتــه الــتــيــاعــا!

وصـــعّــد فــوق مـــســـار الـــنـــجـــوم
فـقــالــت لــه الــظــلــمــات: وداعــا
تـغـلـغـل والـضـوء مـلـك الـيـمـيـن
وراح يـــنـــث نـــدى وشـــعـــاعـــا

٢٣

لـك الـحـمـد يـا مـبـدع الـكـائـنـات
ويـا بـاعـثـاً فـي الـوجـود الـجـمـالا
لـك الـحـمـد فـي كـل فـجـر نـدى
وعـنـد تـوالـي الـلـيـالـي امـتـثـالا
لـك الـحـمـد مـا طـلـعـت نـجـمـة
ومـا صـيّـرتـه الـشـهـور هـلالا
لـك الـحـمـد فـي كـل رفـة طـيـر
وفـي الـضـوء إذ يـسـتـحـيـل ظـلالا!

٢٤

ويـــبـــلـــغ مـــن عـــفـــوه أن تـــصـــيـــر
ذنـــوب بـــنـــي آدم لـــلـــذهـــابِ
إذا مـــثـــقـــل بـــالـــديـــون يـــنـــادي
مـسـحـت مـع الـدَّيْـن كـل حـسـابِ

وسعت برحمة رب غفور
خطايا الألى مرغوا برغابِ
فيا رب جل السخاء الكبير
وجلت تصاريف يوم الإيابِ!

٢٥

بلوت الحياة على كل حال
فلم أر غير الدعاء سبيلا
إذا ضيّقت في المسار الدروب
دعوت الإله فأضحت ذلولا
وتجتاحنا في الطريق الهموم
تروّعنا بكرة وأصيلا
فأنت الذي يرتجى في الكروب
وأنت المفرج هماً ثقيلا

٢٦

تعاني من الغم أيامنا
وتمضي فما عرفته سرورا
وليس له أبداً من دوام
فإن مع العسر يسراً كثيرا

تـقـلّـب هـذا الـوجـود عـجـيـب
فـإيـاك أن تـمـتـطـيـه غـرورا
إذا اجـتـاز بـالـمـرء وعـر الـطـريـق
فـقـد يـنـقـلـب ويـسـوء مـصـيـرا!

٢٧

حـدود الـمـسـافـات تـحـجـب عـنـا
حـقـائـق هـذا الـوجـود الـعـجـيـبِ
تـضـيـعـهـا فـي الـبـعـيـد سـرابـاً
وتـصـبـغـهـا بـطـلاء مـريـبِ
فـنـمـضـي نـحـث خـطـانـا حـيـارى
ونـجـتـازهـا فـي اعـوجـاج الـدروبِ
يـريـد لـنـا الله آفـاقـهـا
فـيـأسـرنـا كـل هـم قـريـبِ!

٢٨

تـأمـلْ فـفـي سـاح هـذي الـحـيـاة
تـقـيـم الأزاهـيـر أعـراسَـهـا
ويـحـتـفـل الـفـل والـيـاسـمـيـن
وتـرفـع نـرجـسـه كـاسَـهـا!

تأملْ ففي فرح الكائنات
تباريح تكتم أنفاسَها

٢٩

ونمضي، فما ثم بعد الرحيلِ
رجوع وليس لمرتحل من شفيعِ
ونبحر لا نلتفت لوراء
فقد شدت الريح كل القلوعِ
وتطوي المسافات أحلامنا
فنغضي على جمرات الضلوعِ
وليس لنا في المسار الطويل
سوى الله من يُرتجى لرجوعِ

٣٠

نمر سراعاً على كل شيء
كأنا إلى نصب نوفضُ!
يلف التكاثر أعناقنا
ونبقى نلاحق لانغمضُ
وتخدعنا مغريات الحياة
فنمضي على إثرها نركضُ

نـضـيـع سـر الـوجـود ونـحـثـو
عـلـيـه الـتـراب فـلا يـومـضُ

٣١

أذوب بـحـبـك يـاخـالـقـي
فـيـنـدي بـقـلـبـي الـهـوى ويـرفُّ!
يـنـازعـنـي الـوجـد رغـم الـعـنـاء
ويـنـسـاب فـي أضـلـعـي فـتـشـفُّ
وأبـكـي فـيـغـسـل فـيـض الـدمـوع
خـطـايـاي، يـلـهـمـنـي فـأعـفُّ
أذوب وإذ أسـتـحـيـل حـطـامـاً
أنـاشـد أوجـاعـه فـتـكـفُّ!

٣٢

ويـعـتـقـل الـحـرف حـيـنـاً، وحـيـنـاً
تـصـاغ بـآيـاتـه الـكـلـمـاتُ!
يـسـطّـحـه الـعـرف تـغـتـالـه
مـعـان سـفـاسـفـهـا ظـلـمـاتُ
يـراد لـه أن يـصـيـر هـجـيـنـاً
وأن تـتـخـطـى بـه الـحـرمـاتُ

ولكنه إذ يفيء إليها
يشع وتغسله الكلماتُ

٣٣

ومن ألف ركن ترامى النداء
فأزهر في كل شبر سلاما
تخطى حدود الزمان العتيق
وجاوزها في مداه ظلاما
تخطى وراياته في الأعالي
وجاهدها عقبات جساما
وراح، وقد أمن الخائفون
لكي يمنح الجائعين طعاما!

٣٤

تهب على العاشقين تباعاً
نسائم قد ضمخت بأريجِ
فتغسل رين القلوب وتمضي
على فرس ذهبيِّ السروجِ
تهب مصعّدة في السماء
فتفتح أبوابها لعروجِ!

وتنسج من ومضات الفؤاد
فبورك من مغزل ونسيجِ!

٣٥

يرف على الأفق بعد الغروب
وميض يسافر كل مساءِ
وينقل من خفقان النجوم
رسائل مكتوبة بضياءِ
تحدثنا عن صروف المقا
در في الكون، عن ذكريات السماءِ
وتحكي لنا كيف مر النبي
وكيف التواجد عند اللقاءِ!

٣٦

وتبقى الأحب إلينا نبياً
على كل صقع وفي كل آنِ
أحب من الابن والأبوين
من الزوج، من مغريات الزمانِ
أحب من القلب بين الضلوع
من النفس، من همسات الأماني

مكانك في حدقات العيون
وحبك يجري مع الخفقانِ!

٣٧

وماذا نقول وقد جعلتنا
تعاليمه للوجود منارا؟
وماذا نقول وكنا صغاراً
فصيّرنا ـ بعد لأي ـ كبارا؟
وكنا نعايشها صبوات
ونجتازها في الضياع سكارى
فماذا نقول عليك السلام
فديت رسولاً وبوركت جارا؟

٣٨

وعبر سني الضياع المرير
وفي زمن الحزن والشهداءِ
وفي لجة الليل والخوف يترى
وفي لحظات الأذى والعناءِ
تطل فكلّ عذاب يهون
وترضى فيعذب كل بلاءِ!

فـرحـمـاك يـا سـيـد الـمـرسـلـيـن
وبـوركـت يـا خـاتـم الأنـبـيـاءِ

٣٩

نـظـل عـلـى الـعـهـد جـيـلاً فـجـيـلاً
ويـدفـعـنـا إلـى الـمـوثـقِ
يـريـدونـهـا عـبـثـاً وضـيـاعـاً
ونـسـعـى إلـى أفْـقـهـا الـمـورقِ
نـظـل نـلاحـقـهـا ظـلـمـات
لـنـمـضـي إلـى غـدهـا الـمـشـرقِ
ونـبـقـى عـلـى الـدرب مـا دمـت فـيـنـا
نـبـيـاً يـجـاهـد كـي نـرتـقـي!

٤٠

وأدعـوك فـي رحـلـة الـكـلـمـات
إذا أخـطـأ الـحـرف ضـل الـسـبـيـلا
ثـوابـك يـطـمـع أحـلامـنـا
فـتـرجـو، إذا قـصـرت، أن تـطـولا
ومـا كـل حـي يـشـد الـركـاب
ويـبـغـي عـلـى الـعـثـرات وصـولا

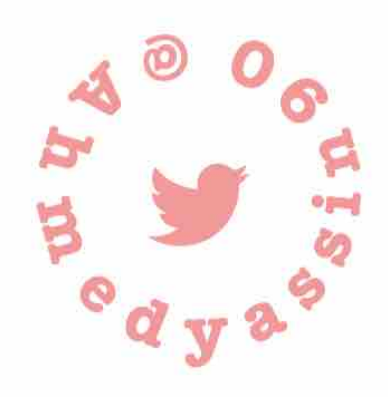
ولـــكـــنـــهـــا جـــمـــرات الـــفـــؤاد

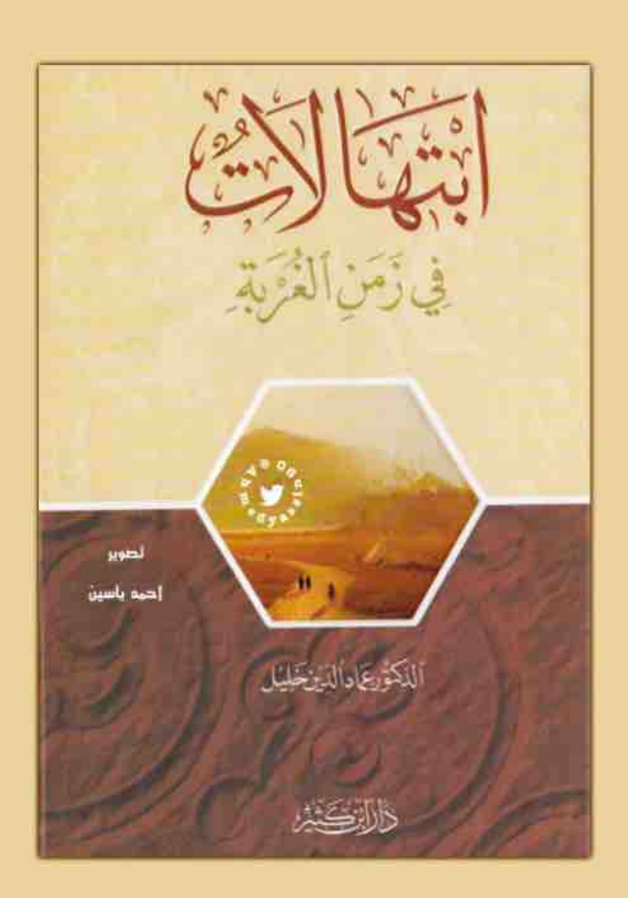
تـــلـــوّعـــه فـــيـــودّ قـــبـــولا!!






فهرس الموضوعات


@Ahmedyassin90



ابتهالات
في زمن الغربة
تصوير
أحمد ياسين
الدكتور عماد الدين خليل
دار ابن كثير